

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

معهد الآثار.

جامعة الجزائر 2.

تطور مناهج دراسة الفن الصخري، منطقة الجلفة نموذجا.

مذكرة لنيل شهادة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ.

من إعداد الطالبة: حسيبة قاسي.

لجنة المناقشة:

- د. محمد الشريف حمزة ..... رئيسا.  
د. كريم أبركان ..... مقرر.  
د. مروان رابحي ..... مناقشا.  
د. خوخة عياتي ..... مناقشة.

السنة الجامعية 2017 - 2018.

# إهداء.

أهدي هذا العمل إلى:

الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى أختي العزيزة.

إلى زوجي وأبنائي.

والى عائلة زوجي.

# شكر وتقدير.

في البداية، الشكر والحمد لله الذي أمانني على إتمام هذا العمل واستكمال هذا المشوار العلمي والأكاديمي.

كما أشكر أستاذي الفاضل، الدكتور كريم أبركان، على قبوله تحمل مسؤولية الإشراف على إنجاز هذه المذكرة ولما قدمه لي من إرشادات وتوجيهات نبيرة وملاحظات قيمة ومساعدات كبيرة، فهو لم يدخر جهداً في ذلك، فله مني ألف شكر وامتنان.

واعتزافاً مني بالجميل، لا يسعني إلا أن أقدم خالص الشكر والتقدير إلى كل من الأساتذة الأكارم: عائشة حنفي ومحمد الشريف حمزة ومروان رابحي ونخوة عياني ومحي الدين بن طير على إسهامهم ومساعدتهم ودعمهم لي في إنجاز هذا العمل واستكمال مساري التعليمي والعلمي.

ختاماً، أوجه كل تحياتي وعرفاني وتقديري لكل من أسهم في إثراء وإنجاز هذا الاجتهاد العلمي.

عرفت منطقة الجلفة، ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر، اهتمام عدد كبير من الباحثين والمستكشفين، على اختلاف تخصصاتهم العلمية، حاولوا الإسهام في التعريف بهذه المنطقة الشاسعة التي تجمع بين خصائص الأطلس والصحراء في آن واحد، على رأسهم باحثي الجيولوجيا والجيومورفولوجيا والهيدروغرافيا وعلوم الطبيعة (أبركان 2016).

لفتت هذه المنطقة في تلك الفترة باحثي علم ما قبل التاريخ كذلك، حيث قاموا بعدة تحريات ميدانية ودراسات لمحاولة الإجابة على إشكاليات خاصة بعدة مواضيع أثرية، حيث حظي الفن الصخري بالموضوع الأكثر دراسة نظرا للعدد الهائل من مواقع الفن الصخري التي تزخر بها المنطقة (Lhote 1970 و Hachid 1983).

سنهتم، من خلال هذا العمل، إلى المناهج التي قوربت بها الأبحاث التي تعرضت إلى دراسة الفن الصخري بهذه المنطقة، كنموذج لأبحاث الفن الصخري بالجزائر عموما، حيث سنحاول إبراز تطورها عبر الزمن والوقوف على المناهج التي استمرت وعلى التي توقف تطبيقها وكذا على التي أحدثت ثورة على الأرجح في دراسة وتفسير الفن الصخري.

تتمثل أسباب اختيار الموضوع في ضرورة وضع حوصلة للمناهج التي طبقت في دراسة الفن الصخري بالمنطقة ونقدها للعمل على تحسينها من جهة، و من جهة أخرى في لفت الانتباه على أهمية إرفاق المناهج الميدانية والتجريبية والمخبرية الذي يتميز به علم الآثار عموما بأخرى نظرية، بهدف العمل على طرح الإشكاليات الحقيقية وإنشاء أفضل البروتوكولات التي قد تسمح بالتقرب أكثر من حياة الإنسان في الماضي.

لهذا الغرض، سنحاول الإجابة على الإشكاليات التالية:

1. فيما يتمثل الإطار الطبيعي البيئي الذي ساد منطقة الجلفة؟

2. ما هو مضمون الأبحاث الأثرية السابقة التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ بهذه المنطقة؟

3. ما موقع دراسة الفن الصخري ضمن الفلسفة، بحكم أن هذه الأخيرة أم لجميع العلوم؟

4. كيف يمكن للمناهج النظرية أن تساهم في حل إشكاليات علم الآثار عموماً؟

5. فيما تتمثل المناهج المستعملة في دراسة الفن الصخري بالمنطقة؟

6. ما طبيعة تطور هذه المناهج عبر الزمن؟

من الناحية المنهجية، وبهدف محاولة الإجابة على الإشكاليات المطروحة في هذه المذكرة، تم تطبيق المنهج النظري بما فيه الوصفي والنقدي، إذ استعمل المنهج الوصفي عند التطرق إلى الإطار الطبيعي لمنطقة الجلفة وتاريخ الأبحاث وموقع دراسة الفن الصخري ضمن الفلسفة وكذا المناهج المستعملة في دراسة الفن الصخري، أما المنهج النقدي فطبق عند الحديث عن المناهج النظرية وأهميتها في علم الآثار وكذا في طبيعة تطور مناهج دراسة الفن الصخري في منطقة الجلفة.

تحتوي هذه المذكرة، تنظيمياً، على ثلاث فصول:

- تم تقسيم الفصل الأول إلى شقين، إذ يتناول الشق الأول المحيط الطبيعي لمنطقة الجلفة، أما الشق الثاني فقد اهتم بمختلف الأبحاث الأثرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ بالمنطقة، لا سيما أبحاث الفن الصخري.

- تطرق الفصل الثاني إلى مكانة دراسة الفن الصخري في علم ما قبل التاريخ خصوصاً وضمن العلوم الإنسانية والفلسفة عموماً، كما عرفنا المناهج النظرية النقدية التي قد تساهم في حل إشكاليات علم الآثار عموماً بالجزائر، والمستمدة من تاريخ العلوم وسوسيولوجية العلوم والإبستمولوجيا.

## مقدمة.

---

- خصص الفصل الثالث لعرض وتحليل مضمون الأبحاث الأثرية عن الفن الصخري بمنطقة الجلفة، لا سيما الجانب المنهجي الذي نرى بشأنه أنه مرتبط ارتباط وثيق بمدى تقدم الأبحاث في هذا الموضوع. كما حاولنا إرفاق هذه الدراسة التاريخية بمحاولة نقد هذه النتائج ومنه إعطاء الصبغة الإستمولوجية للعمل المقدم.

الفصل الأول:

الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

تمهيد:

سننظر في هذا الفصل إلى نقطتين: الإطار العام للمنطقة وتاريخ الأبحاث، بالنسبة للنقطة الأولى سنتحدث عن المحيط الطبيعي السائد في منطقة الجلفة، أما النقطة الثانية فسنعمد فيها إلى تلخيص مختلف الأبحاث الأثرية في الفن الصخري التي حظيت بها منطقة الجلفة.

### 1. الإطار الطبيعي:

يتمثل في ذكر الأطر الجغرافية والجيومورفولوجية والهيدروغرافية والجيولوجية والمناخية لمنطقة الدراسة التي تعتبر وحدات جد هامة في محاولة فهم البيئة القديمة التي عرفها إنسان ما قبل التاريخ وتأثيرها على استقراره ومختلف نشاطاته.

### 1.1. الإطار الجغرافي:

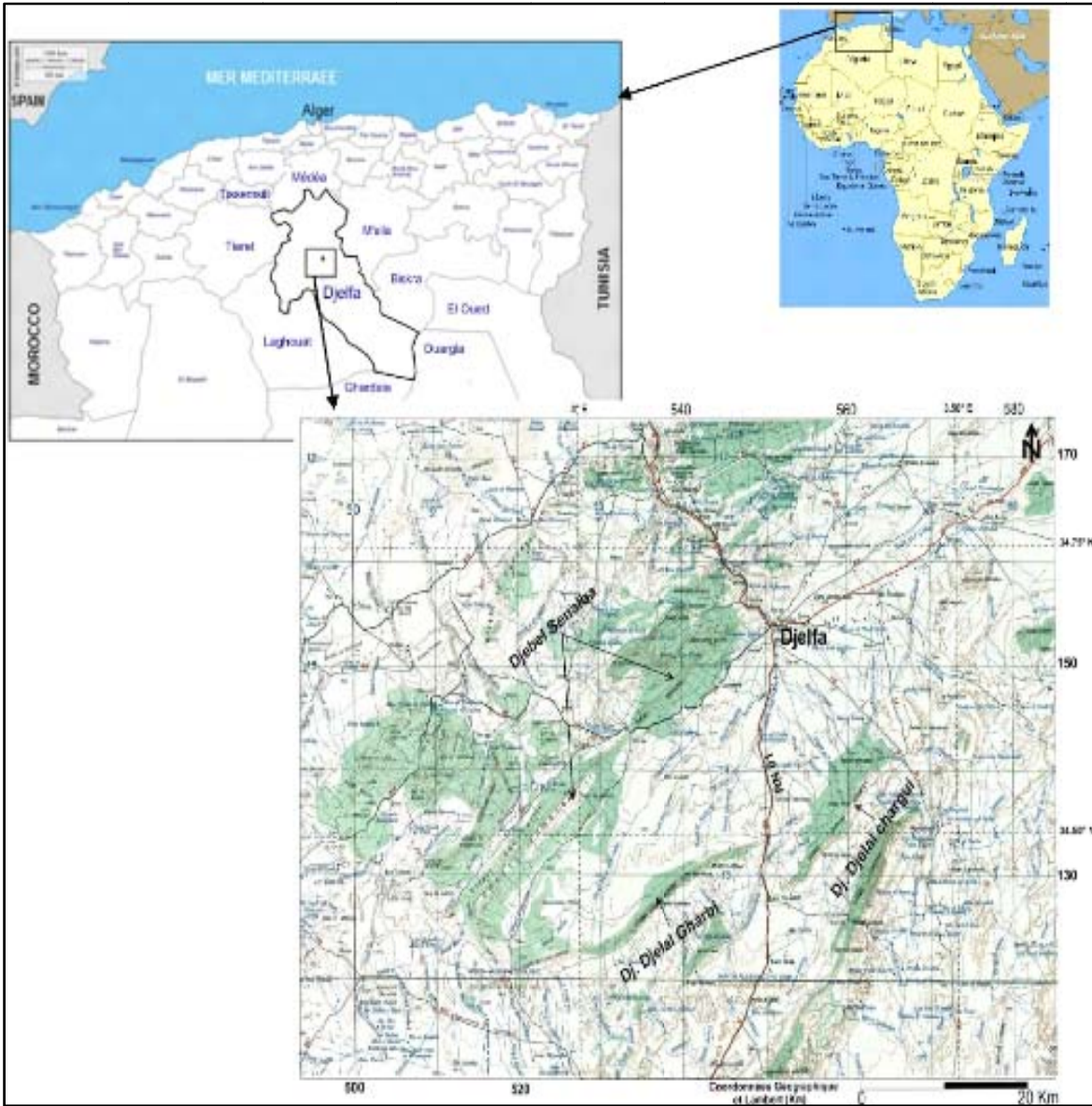
تقع منطقة الجلفة في سفح الأطلس الصحراوي جنوب الجزائر العاصمة، تبعد عنها حوالي 300 كم وتتربع على مساحة قدرها 32256.35 كم<sup>2</sup>، يحدها شمالا المدينة، شرقا المسيلة، من الشمال الغربي تيسمسيلت، ومن الجنوب الشرقي بسكرة وورقلة، من الجنوب غرداية ومن الجنوب الغربي الأغواط، ومن الغرب تيارت.

تتمثل منطقة الجلفة في مجموعة من السهول السهبية التي تلي الأطلس التلي مباشرة نحو الجنوب وهي عبارة عن جزء كبير من سلسلة الأطلس الصحراوي ممتدة حتى الهضبة الصحراوية جنوبا.

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

### 2.1. الإطار الجيومورفولوجي:

هي دراسة أشكال التضاريس التي يمكن من خلالها استنتاج أصلها وتاريخها وطبيعة حركتها عبر الزمن، كما يتطرق هذا التخصص إلى تحليل تأثيرات التركيبة الجيولوجية ومكونات الصخور البارزة.



شكل 1 - خريطة تبرز الموقع الجغرافي لمنطقة الجلفة وجانب من خصائصها الجيومورفولوجية (حسب Rahmani 2016).

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

تحتوي منطقة الجلفة على سلسلة جبلية في المركز، تمتد من دار الشيوخ شرقا إلى الإدريسية في أقصى الغرب، حيث تتخلل هذه السلسلة قمم جبلية فارغة، تبلغ مداها الأقصى في قمة جبل محاسن الكفى بالقرب من منطقة بن يعقوب المرتفعة بـ 1613 م، وينخفض هذا الارتفاع كلما توجهنا غربا، بالإضافة إلى جبل بوكحيل الذي يقع بمنطقة فيض البطمة والذي يأخذ مساحة في الشمال الشرقي لمنطقة مسعد ممتدا حتى منطقة بوسعادة. يعتبر جبل الملح كذلك واحد من المرتفعات المهمة في منطقة الجلفة.

تتميز المنطقة كذلك بسهول عريضة يتراوح ارتفاعها ما بين 1000 م غربا و600 م شرقا، تحاط من جهة بالهضاب العليا الغربية ومن الأخرى بالمنخفض الشرقي للحضنة (Gaucher 1972: 700).

تعتبر تضاريس جبال أولاد نايل الأكثر علوا في تضاريس الهضاب العليا، إذ تشهد انخفاضا من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. انطلاقا من الشمال نحو الجنوب، نلاحظ أن المناطق الغنية بالنقوش الجدارية تتمركز في منخفض عين الإبل الذي يعتبر الإطار الطبيعي لعدد من المواقع، تمتد من سيدي مخلوف جنوبا إلى موقع زكار شمالا ثم تنقسم المنطقة لتأخذ شكلا مائلا بواسطة جرف حوض الجلفة. تتكون الجبال من الحجر الرملي، غنية بالماء ويدل على ذلك الينابيع المتعددة وآثار المياه في الأودية المنخفضة وعلى المنحدرات الناتجة عن الاصطدامات والتصدعات الجيولوجية التي عرفتها جبال المنطقة (Hachid 1983: 3).

### 3.1. الشبكة الهيدروغرافية:

تتميز الشبكة الهيدروغرافية بطابع موسمي، إذ يعتبر وادي ملاح من أهم الوديان بروافده الكثيرة (وادي كاف الباز، وادي بوسيف)، أما المجاري المائية الأقل أهمية

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

فمعظمها متواجدة على سفوح الجبال، حيث تدفع المنحدرات الجبلية بمياه الأمطار وتتحول المجاري المائية المتعرجة في بعض الأحيان إلى تشعبات من أخاديد حقيقية يصل عمقها إلى 5 أو 6 أمتار، وهذا خاصة بالجنوب الشرقي (جبل الخضرة) والجنوب الغربي من المدينة (شعبة الزمرة) وبأقل درجة في الشمال على سفح جبل سردون (رابحي 2012: 85).

وجدت أغلب المواقع الراجعة لما قبل التاريخ بالقرب من الوديان أو اليتاييع أو البحيرات، هذا ما يجعل الاهتمام بالشبكة الهيدروغرافية أمر ضروري في استنتاج معلومات عن التعمير البشري في منطقة ما. حيث أكدت أبحاث ما قبل التاريخ العلاقة الوطيدة بين أماكن تعمير الإنسان القديم ومصادر المياه. يتمتع جنوب الجزائر عموما ومنطقة الجلفة خصوصا بوفرة المياه الجوفية، بفضل الخزان الجوفي الطبيعي العظيم والمكون من الحجر الرملي والرمل الراجعين إلى الفترة الألبية، الذي يتواجد في عمق كبير عن سطح الأرض، تحت طبقات مياه المنابع الموجودة مباشرة تحت سطح الأرض (Larnaude، 1949: 282). يعتبر الطابق الألبى آخر فترة من العهد الطباشيري الأسفل، المنتمي إلى الزمن الجيولوجي الثاني.

### 4.1. الإطار الجيولوجي:

لا تشير الخريطة الجيولوجية لمنطقة الجلفة إلى أي أثر للزمن الجيولوجي الأول، إذ تتكون المنطقة، من الناحية الستراتيغرافية، من تسلسل لطباقية يمتد من الميزوزوي إلى السينوزوي (Mésocénozoïque)، أي من الزمن الجيولوجي الثاني إلى الهلوسان.

بالنسبة للزمن الجيولوجي الثاني وبالضبط في الترياس، نجد عدة تكوينات ملحية مثل الصخر الملحي المتواجد في منطقة عين الحجر قرب الشارف، كما نجد طبقة من

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

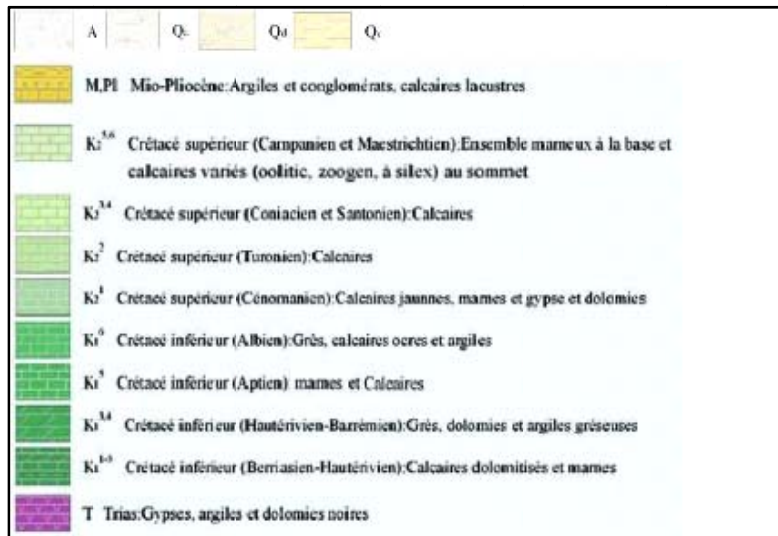
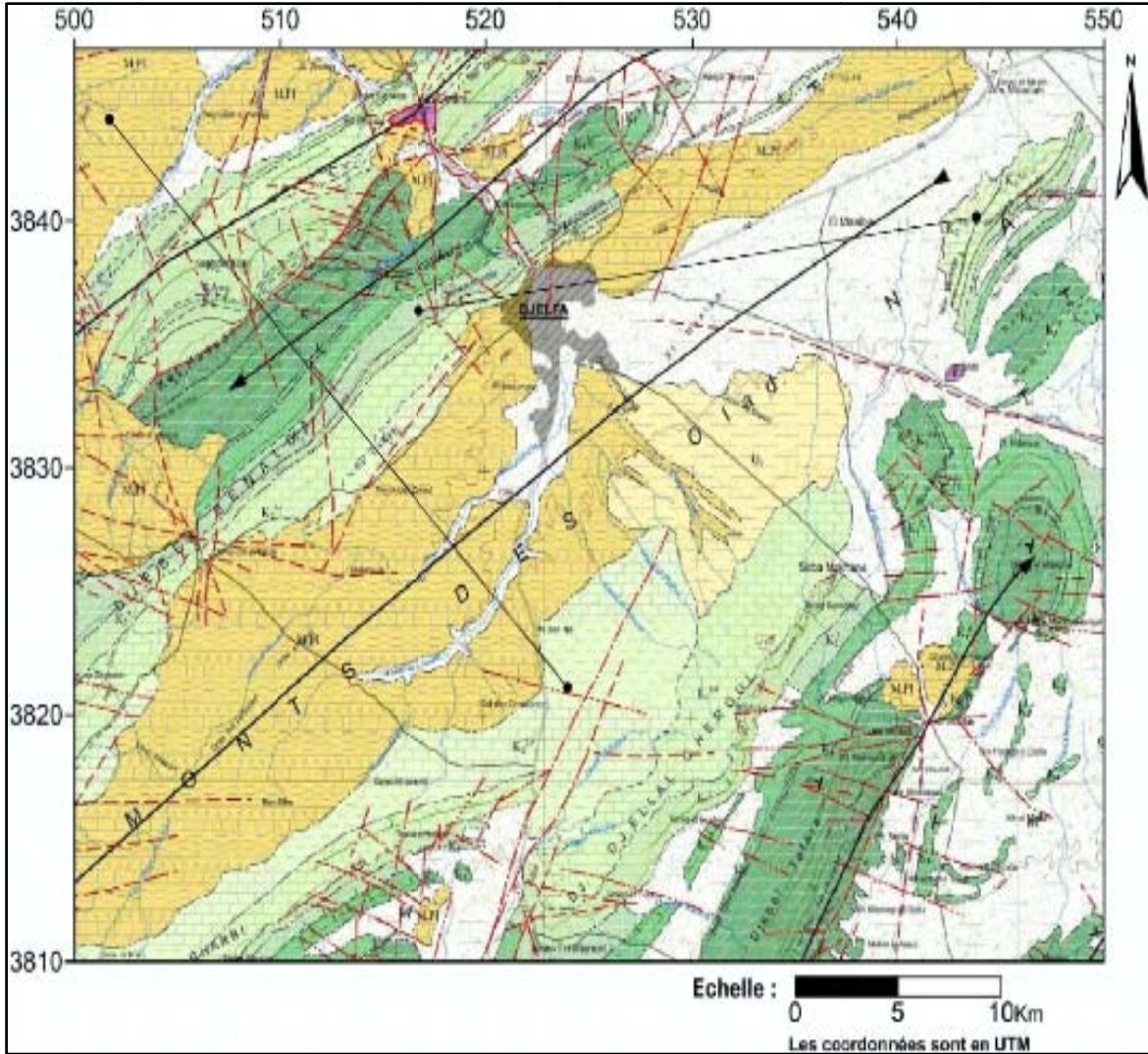
التراب الأصفر اللون المؤلف من المواد الكلسية والصلصالية، هذا كله يدل على تراجع مياه البحر في بداية الزمن الجيولوجي الثاني الذي أدى إلى تكوين السبخات، فالأملاح تتراكم فوق سطح الأرض بعد تبخر المياه (6: 1995 De Villaret)

تتكون قاعدة السهول المرتفعة بالمنطقة من تكوينات الزمن الثاني من الدور الطباشيري (Crétacé)، ممثلة في صخور كلسية وصخور الحجر الرملي والدملوك (Conglomérat)، أما جبال الجوراسي والكريتاسي فهي الآن مغطاة بغابات شجر الصنوبر بتكوينات بحرية متعرجة من نوع جوراسي بسيط، ظهرت بها تعرية قوية منذ أواخر الزمن الثاني.

أما خلال الزمن الثالث فقد أعطت التكوينات الجيولوجية أشكال محدبة مشقوقة تتخللها طيات متوازية ذات اتجاه جنوب غرب/شمال شرق نتيجة لحركة تشققية وكذا تعرية وحث، عدة تكوينات رسوبية وجدت على طول هذا الزمن وهي الطين، الرمل، الحجر الرملي والحصى المختلطة بالحجارة، تسمى بفترة الأيوسين (1983 Hachid: 11).

في الزمن الجيولوجي الرابع، استقبلت المساحة الفيلافرانشية قشرة جيرية صلبة تسمى المساحة المولوية المرتفعة، حيث كان تكوينها نتيجة لغياب الحركات التكتونية إلى جانب الجفاف النسبي للمنطقة، وقد عرفت هذه المرحلة امتدادا لفترة البليوسين آخر مرحلة في الزمن الثالث (24: 1987 Kadik).

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.



شكل 2 - خريطة جيولوجية لمنطقة الدراسة (حسب Rahmani 2016).

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

مع نهاية البلايستوسين وبداية الهولوسين، عرفت الرمال حركة نشيطة بسبب الرياح التي كانت تميز جبال أولاد نايل. هناك ثلاث مراحل رئيسية جافة عرف فيها تنقل وترسب الرمال الريحية وهي:

- ترسب رمال ريحية على ضفاف سلسلة جبال أولاد نايل.
- ترسبات ريحية جاءت من اتجاهات مختلفة على ضفاف السلسلة الجبلية.
- رمال أصلها محلي ( **1983 Trayssac : 36** ).

### 5.1. المناخ القديم خلال الهلوسان:

تتميز منطقة الجلفة بمناخ قاري جاف، يتميز بصيف حار وشتاء رطب إلى بارد، نسبة الجفاف متزايدة بسبب نقص تهطل الأمطار وتزايد في درجات الحرارة (**Hachid 1983 : 18**). أما فيما يخص المحيط القديم الذي ساد في المنطقة، خلال أربع آلاف سنة الأخيرة، عرف تذبذب وعدم استقرار في المناخ، إذ أثبتت الأبحاث تعاقب فترات جافة تتخللها أخرى رطبة (**2004 Benazzouz**).

أعطت دراسات حديثة بعض التفاصيل عن أهم الأحداث المناخية التي عرفتتها منطقة الجلفة ومناطقها المجاورة، إذ سجل انخفاضاً محسوساً في الرطوبة ابتداءً من الفترات الأخيرة من العصر الحجري الحديث (4500 ق. ح.)، وهو تاريخ تحول المناخ مع نهاية الفترة النيوليتية من رطوبة إلى جافة خلال الفترات اللاحقة للعصر الحجري الحديث (**1999 Le Quellec : 164**).

أثبتت بعض الأبحاث الأخرى، اعتماداً على دراسة التوضعات الترسيبية الريحية، أن هذه الفترة الجافة دامت حوالي 1000 سنة ثم تلتها فترة رطوبة ثانية (**Humide post-néolithique**)، مما يدل على عدم استقرار البيئة متأثرة بالظروف المناخية

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

(2004 Benazzouz). أرخت هذه الفترة الرطبة الأخيرة بين 3500 و3000 ق. ح. ، حيث عرفت الأطلس الصحراوي والمناطق المحاذية له استقرار الإنسان وانتشار تربية المواشي ووفرة في الموارد الطبيعية (1995 Muzzolini : 25).

ثم تأتي مرحلة جافة أخرى ابتداء من 3000 ق. ح. ، اعتمادا على دراسة توضع الكثبان المتحجرة وتاريخها بالكاربون 14 وكذا بعض التأريخات على قشور بيض النعام، مما يثبت مرة أخرى تدهور المناخ وتوجهه نحو الجفاف والذي يعتبر استمرار لفترة المناخية التي نعيشها حاليا (2004 Benazzouz).

من خلال التوقف على التواريخ الهامة للمناخ القديم في الأطلس الصحراوي، نستنتج أن المرحلة الجافة التي تعيشها المنطقة ما هي إلا امتدادا للمرحلة الجافة لما بعد النيوليتي التي بدأت في حدود الألفية الرابعة قبل الحاضر، علما أنها تتخللها مراحل رطبة قصيرة الأمد التي أثرت من حيث التعمير البشري القديم الذي أسس ملامح التعمير البشري الحالي (2007 Hachid).

### 6.1. المناخ الحالي في منطقة الدراسة:

استقر المناخ في بداية الهولوسان في الأطلس الصحراوي عموما، على غرار منطقة الجلفة، على فترة جافة وهي المرحلة المناخية التي تعيشها المنطقة حاليا. تتميز المنطقة بمناخ قاري جاف ذو طابع متوسطي، صيفها حار وجاف نظرا لموقعها على مشارف الصحراء، التي لا يفصلها عن هذه الأخيرة إلا بعض الحواجز الجبلية، وشتاءها رطب وبارد يسوده الصقيع والثلوج.

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

### 1.6.1. تساقط الأمطار:

يتراوح التساقط السنوي ما بين 200 إلى 400 مم في السنة، يتحكم في هذا التساقط عاملان أساسيان هما: رياح الشتاء ذات اتجاه غرب /شمال غرب القادمة من الساحل التي تجلب معها سحباً عبر التل الصحراوي، إضافة إلى العواصف الناتجة عن الانخفاضات الجوية القادمة من الجنوب، والتي تكثر خلال فصل الصيف على كامل الأطلس الصحراوي. كما تعرف المنطقة رياحاً جنوبية شرقية حارة ورياحاً رملية متجهة شمال غرب/جنوب شرق وجنوب غرب/شمال شرق (Seltzer 1948: 36).

### 2.6.1. الحرارة والرطوبة:

هناك تباين في درجات الحرارة، فمعدل الحد الأدنى في شهر جانفي هو  $7,1^{\circ}$  ومعدل الحد الأقصى في جويلية هو  $33,9^{\circ}$ ، هذا ما يفسر قسوة المناخ شتاءً وصيفاً. أما نسبة الرطوبة فهي متذبذبة إذ تتراوح ما بين 20% إلى 90%.

### 3.6.1. الثلوج والصقيع:

نظراً لارتفاع منطقة الجلفة عن سطح البحر فهي تعرف انخفاضاً في درجات الحرارة وبالتالي تساقط الثلوج بمعدل 5 إلى 10 أيام في السنة، أما الصقيع فهو يسجل معدل 31 يوماً في السنة موزع على الشهور من ديسمبر إلى مارس.

### 4.6.1. الرياح:

تسيطر على المنطقة رياح ذات اتجاه غرب/شمال غرب حاملة معها الرطوبة والأمطار، متسببة في بعض الأحيان في العواصف الرملية. أما في الفترة الحارة، الرياح

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

تكون قادمة من الجنوب إذ تتسم بالحرارة والجفاف بما يسمى رياح السيروكو (Pouget 1977: 6).

### 7.1. الغطاء النباتي:

لا يتعدى الغطاء النباتي للمنطقة 50% من المساحة الكلية، يتواجد على منحدرات السلاسل الجبلية رغم وجود غابات صغيرة تحتوي على شجر الصنوبر والبلوط الأخضر. فالغطاء النباتي يظل أساسا ذا طابع سهبي أغلبيته يتكون من الحلفاء إلى جانب نبات الشيح والدقوفت، والذي يعتبر بمثابة مرحلة انتقالية للغطاء النباتي الصحراوي (Hachid 1983: 17).

تختلف النباتات بمنطقة الجلفة باختلاف وتنوع التضاريس الموجودة فيها، إذ نجد بالسهول العليا في الطيات الجبلية لمنطقة الجلفة وسهل الإدريسية وسهل عين الإبل وسهل فايز البطمة وشمال سهل مسعد نبات الحلفاء (*Stipa Tenacissima*) والشيح (*Artemisia Herba Alba*) والدقوفت (*Artemisia Campestris*).

كما نجد بالمناطق الشمالية من سهل الإدريسية النباتات الكابتة للماء (Halophiles) بشتى الأنواع، إذ يتواجد على ضفاف السبخات القطوف (*Artiplex*)، أما في التربة الرملية نجد الدرين (*Atristida Pungens*) والرم (*Retama Retem*).

أما الغابات فتغطيها 130 ألف هكتار من الصنوبر (*Pinus Halepensis*) والكروش (*Ilex Quercus*) والعرعار (*Juniperus Phoenicea*) والبطقة (*Juniperus Oxycedris*).

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

بالإضافة إلى سهل مسعد ومنطقة واد جدي حيث يوجد نبات الحلفاء والسنعاق (*Lyceum Spartum*)، وكذا الرمث (*Arthrophytum Scoparium*) والبعقل (*Arthrophytum Schmittianum*) في الأتربة الرملية (De Villaret 1995):  
(14).

### 2. تاريخ أبحاث الفن الصخري بمنطقة الجلفة:

أول اكتشافات الفن الصخري بالأطلس الصحراوي عموماً كانت سنة 1847، أما بمنطقة الجلفة فكانت من قبل الضابط Dogny سنة 1889 الذي حدد موقع الصخور المنقوشة لـحجرة سيدي بوبكر في خريطة منطقة مسعد.

اكتشف Magny سنة 1907 محطة زكار، ثم في سنة 1914 حدد Flamand خمس محطات لضاية الستل ثم نشرها سنة 1921. اكتشفت كذلك نقوش واد التل من طرف Blanchet في نفس السنة (1914).

شكل أطلس Gsell الأثري سنة 1911 قفزة نوعية في إبراز أهمية منطقة الجلفة من حيث آثارها، إذ قام بجرد مفصل للمواقع والنقاط الأثرية على خرائط الجزائر الشمالية مع نصوص توضيحية قيمة، حيث حظيت مواقع الفن الصخري واحدة من هذه الاكتشافات.

ذكر Perret سنة 1937 ثلاث محطات للفن الصخري في خريطته للنقوش والرسومات الصخرية وهي: ضاية الستل، زينة وقصر زكار، ثم تطرق Vaufrey في كتابه عن الفن الصخري في شمال إفريقيا سنة 1939 إلى المحطات التي تحتويها المنطقة ومضامينها.

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

أما Bellin فعرفنا سنة 1957 بنقوش كريكر وصافية بورنان، ثم تلاها الباحث Lethielleux سنة 1965 بدراسة جواميس حجرة مختمة وعين الناقة.

تعددت بعد ذلك أعمال أخرى من طرف مهتمين آخرين، أمثال DeVillaret و Pradiel و Blanchard حيث يعود لهم الفضل في التعريف بعدة محطات جديدة للنقوش الصخرية مثل واد الحصباية سنة 1965 وعين الناقة من سنة 1964 إلى 1969. أقيمت عدة دراسات في هذه المحطات من طرف الباحثين Shosko و Lefebvre اللذان زارا هذه المنطقة ما بين 1965 و 1967 (Lefebvre 1967).

وجاءت بعد ذلك الأنسة Damour التي اكتشفت أول الرسومات الصخرية بزكار (Huard et Allard 1976: 69).

حظي الفن الصخري بدراسات عديدة أخرى، حيث تطرق Lhote سنة 1970 إلى التمثيلات الصخرية مشابهة نوعا ما للتي وجدت في منطقة الجلفة خصوصا والأطلس الصحراوي عموما في كتابه عن النقوش الصخرية في الجنوب الوهراني.

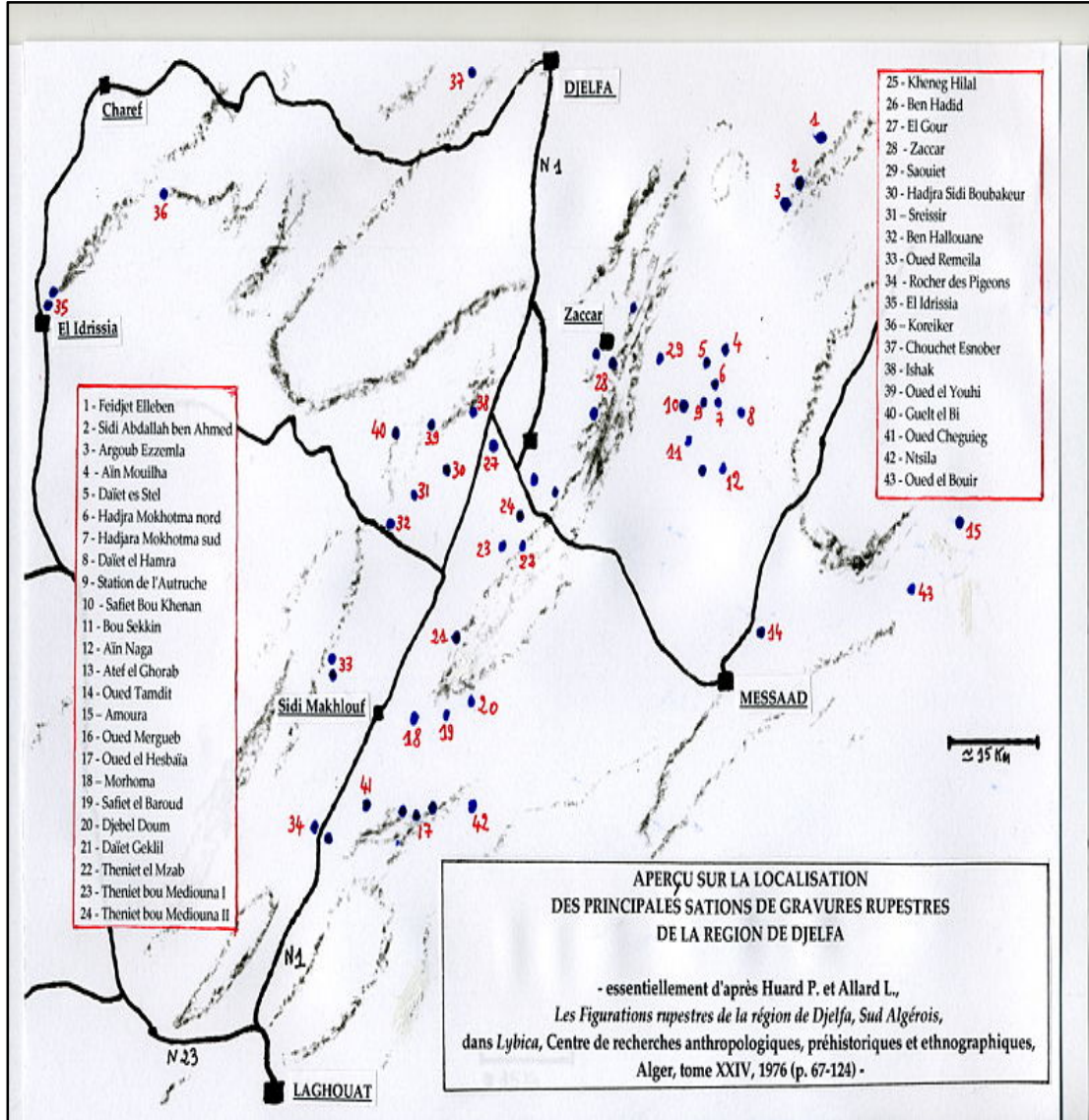
أما الباحثان Huard و Allard فقد قاما بجدد ودراسة كل هذه التمثيلات الموجودة في 43 محطة أثرية.

حاولت الباحثة الجزائرية حشيد وضع تأريخ نسبي لهذه النقوش سنة 1983، ثم عاد الباحث Lhote سنة 1984 بتخصيصه كتابا مفصلا عن النقوش الصخرية في مرتفعات أولاد نايل وضواحي الجلفة.

بعدها جاءت أعمال الباحثة Aumassip الحديثة التي حاولت فيها تأريخ الفن الصخري سنة 1993/1997 والتعرف أكثر على رسومات محطة زكار.

## الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

تميزت أبحاث الفن الصخري في منطقة الجلفة، على غرار مناطق أخرى، بنوع من السطحية حيث اقتصر الكثير منها الإشارة إلى اكتشاف ووصف المواقع الأثرية من غير دراسة ولا تعمق، رغم مجهودات بعض الباحثين.



شكل 3 - خريطة لأهم محطات النقوش الصخرية لمنطقة الجلفة (حسب Huard و Allard)

(1976).

## الفصل الثاني:

مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

تمهيد:

سنتناول في هذا الفصل، بالإضافة إلى المنهجية المتبعة، بعض المفاهيم الخاصة بكل من الفلسفة وعلاقتها بفلسفة العلوم، بحكم أن هذه الأخيرة هي التي ستتفرع منها الإبستمولوجيا التي ستشكل المحور الأساسي في منهجية هذه المذكرة، بالإضافة إلى تاريخ العلوم وسوسيولوجية العلوم. كما سنتطرق إلى موضع الفن الصخري من علم ما قبل التاريخ خصوصا وموضع هذا الأخير من العلوم الإنسانية عموما، كون النموذج الذي اخترناه في هذه الدراسة متعلق بالفن الصخري.

### 1. المنهجية:

عمدنا، بهدف محاولة الإجابة على الإشكاليات المطروحة في هذه المذكرة، لا سيما المتعلقة بتطور مناهج دراسة الفن الصخري، إلى تطبيق مقاربتين ملائمتين لهذا الموضوع التاريخي والنقدي، وهما الإبستمولوجيا وتاريخ العلوم. فيما يخص المناهج المتبعة، فقد ساد المنهج النظري بما فيه الوصفي والنقدي، إذ استعمل الأول عند التطرق إلى موقع دراسة الفن الصخري ضمن الفلسفة وكذا المقاربات المطبقة في دراسة الفن الصخري (هذا الفصل)، أما الثاني فطبق عند الحديث عن طبيعة تطور مناهج دراسة الفن الصخري في منطقة الجلفة (في الفصل الموالي).

### 2. من الفلسفة إلى الفن الصخري!

سنحاول ربط نقد الفن الصخري، كموضوع خاص بعلم ما قبل التاريخ خصوصا وبالعلوم الإنسانية عموما، بالفلسفة، لا سيما فلسفة العلوم التي تضم الدراسة النقدية لمواضيع العلم المختلفة، خاصة بعد أن اقتبس منها عدد من اختصاصات النقد التي طورت منهج بحث خاص بكل منها على غرار الإبستمولوجيا، ثم تاريخ العلوم وعلم

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

اجتماع العلوم. كما سنتطرق إلى بعض العناصر التي قد تساهم في نقد دقيق وفعال لموضوع الفن الصخري مثل مميزات العلوم الإنسانية عموماً وتطور مناهج ما قبل التاريخ كعلم من العلوم الإنسانية وتطور طرق تفسير الفن الصخري.

### 1.2. الفلسفة:

يعود المعنى اللغوي لكلمة "فلسفة" إلى لفظين يونانيين هما: "فيلو" وتعني محبة، و "سوفيا" بمعنى الحكمة، فالفلسفة إذن هي محبة الحكمة، والتي تدل على حب الإطلاع وممارسة التفكير أكثر من كونها مجرد حب الحكمة.

لقد زعم هيراكليت Héraclite، بتدعيم من شيشرون Cicéron، أن أول من استعمل لفظ "فلسفة" هو الفيلسوف اليوناني فيثاغوراس Pythagore (572-497 ق.م.) الذي كان يقصد من وراء هذه الكلمة مجرد حب الحكمة وليس التوصل إليها أو امتلاكها. يذهب البعض إلى أن إنساب وضع الكلمة إلى فيثاغوراس أمر مشكوك فيه، لهذا يرجح هؤلاء أن يكون سقراط أول من استعملها وبعده أفلاطون (Voilquin 1964).

اختلف الفلاسفة في تفسير معنى كلمة الفلسفة، حيث ذهب أب الفلسفة اليونانية سقراط Socrate (470-399 ق.م.) إلى اعتبار الفلسفة ليست بحثاً في طبيعة الكون وعناصره ومكوناته فقط، وإنما الفلسفة هي بحث في الإنسان ودراسة لمشاكله وقضاياه وحياته ودراسة الأخلاق والسياسة. فالفلسفة في نظره هي محاولة تفسير معاني الأشياء وحقائق الأمور بوضوح.

أما أفلاطون Platon (427-347 ق.م.) فسار على نهج أستاذه سقراط وجعل من معرفة الذات أهم نقطة في كل بحث فلسفي، إذ جعلها تستوعب موضوعات الطبيعة والنفس والأخلاق وما وراء الطبيعة، وأصر على أن تكون الفلسفة أسلوباً في العيش

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

وليس آلية من آليات التفكير والتأمل. في حين فضل أرسطو (Aristote 322-384 ق.م.) أن يعرف الفلسفة بعدد من التعريفات أهمها أن الفلسفة هي البحث في الوجود بما هو موجود أي علم المبادئ، كما استخدم أرسطو الفلسفة كمرادف للعلم ووعاءا جامعاً لكامل المعرفة الإنسانية (Sauvanet 1999).

فيما يخص فلاسفة العرب المسلمين، عرف الكندي (805-873 م.) الفلسفة بصناعة الصناعات وحكمة الحكم وأن معرفة الإنسان نفسه تؤدي إلى معرفة العالم الأكبر أي المعرفة بالطبيعة والكون ومن ثم ترتقي إلى معرفة الخالق. نظر الفارابي (874-950 م.) إلى الفلسفة باعتبارها الصناعة التي تؤدي إلى إصابة الحكمة لمن يتمتعون بجودة التمييز الناتجة عن جودة الذهن، واقتناء الحكمة يعني اقتناء الأشياء الجميلة نظراً وعملاً (Badawi 1968).

أما عند فلاسفة العصر الحديث، عرف ديكارت (Descartes 1596-1650 م.) في مقدمة كتابه "مبادئ الفلسفة" أن هذه الأخيرة كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء، غصونها المتفرعة هي كل العلوم الأخرى: الطب، الميكانيكا والأخلاق. أسهم باكون (Bacon 1561-1626 م.) بدوره حيث رأى أن الفلسفة تدع الأفراد جانبا ولا تهتم بالانطباعات الأولى التي تحدث فينا، وإنما المعاني التي تستمد منها بالتجريد، هذا هو دور العقل ومهمته. نقد هذا العالم الفلسفة التقليدية التي وصفها بالجمود العلمي والفقر العقلي وعدم الإسهام الفاعل في رفاهة الإنسان وتقدمه، فطالب بضرورة إصلاح منهج التفكير (Pelseneer 1932).

تميز الفلاسفة المعاصرون، ابتداء من القرن 19 م. بنظرتهم الجديدة في التفكير الفلسفي من حيث المنهج والمنطلقات والوسائل والغايات، فظهرت اتجاهات عديدة منها الماركسية، الوجودية، الوضعية المنطقية والبراغماتية. فالفلسفة ليست البحث في حقيقة

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

الوجود أو طبيعة المعرفة بل هي مجرد منهج للبحث، هدفه التحليل المنطقي للغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية أو يصطنعها العلماء في مباحثهم العلمية. فالفلسفة ليست بحثاً تأملياً في مختلف القضايا والموضوعات التقليدية، بل هي التطبيق العملي لمختلف الأفكار والتصورات التي ينتجها العقل البشري ثم فحص نتائج تلك الأفكار (Besnier 1993).

### 2.2. فلسفة العلوم:

ظهر مصطلح فلسفة العلوم في القرن 19 من طرف العالمين كونت Comte وكورنو Cournot، تعتبر مقارنة سبقت علم الإبستمولوجيا، وتهتم بدراسة الطرق والأسس والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة مثل العلوم الطبيعية وما تحويه من فيزياء ورياضيات وبيولوجيا، وكذا العلوم الاجتماعية وما تحويه من علوم النفس وعلوم الاجتماع والعلوم السياسية، ولا شك أن هذا المفهوم يجعل من فلسفة العلوم فرعاً وثيق الصلة بعلم الإبستمولوجيا (Canguilhem 1983).

تشتهر فلسفة العلوم بالبحث في طبيعة وصحة المقولات العلمية، والتعرف على طريقة إنتاج العلوم والنظريات العلمية، وتحليل طرق التأكد والتوثيق من النتائج والنظريات العلمية، والتعرف على صياغة وطرق استعمال الطرق العلمية المختلفة أو ما يسمى بالمنهج العلمي، كما تهتم فلسفة العلوم بطرق الاستنتاج والاستدلال التي تستخدم في كافة فروع العلم والبحث في مضامين المقولات والطرق والمناهج العلمية على المجتمع ككل وعلى المجتمع العلمي بصفة خاصة. من أبرز مؤسسي فلسفة العلوم نذكر باشلار Bachelard وأينشتاين Einstein وبيكون وكونت وديكارت وكانت Kant.

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

لقد درس الخبراء المتخصصون في فلسفة العلوم موضوعات تتعلق بالتسبب واهتموا بها لربط الحقائق بعضها ببعض، موضوعات الإيمان والعقل، الإرادة الحرة والحتمية، دراسة التناسقية، الوجود، الغيبيات وعلوم اللاملا حظ (Barberousse وآخرون 2000).

تظهر طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم من خلال نقطتين، حيث تتمثل الأولى في كون الإنسان كلما طرح أسئلة وحصل من ورائها إجابات ناجحة ثابتة ودقيقة، شكلت هذه الإجابات جانبا من رصيده في المعرفة العلمية أي صارت وأصبحت علما. ومن هنا فكل الموضوعات العلمية الراهنة كانت تعتبر جزء من الفلسفة، مثال: الفلسفة في بحثها عن المادة وتركيبها وتفسيرها كانت تشمل الفيزياء، الكيمياء، الطب والبيولوجيا، والفلسفة في مسعاها المتعلق بمحاولة فهم العقل والنفس كانت تشمل ما أصبح يسمى اليوم علم النفس. أما النقطة الثانية فمفادها أن ما يسمى الآن بفلسفة العلوم لهو دليل واضح على مدى متانة وقوة الارتباط بين الفلسفة والعلم. هذه الفلسفة عبارة عن حركة نقدية تحليلية لمبادئ ومفاهيم ومناهج العلم، وتشكل النظريات العلمية ومسارها التاريخي (1983 Canguilhem).

### 3.2. الإبيستمولوجيا:

الإبيستمولوجيا، كلمة مستحدثة ظهرت لأول مرة في المعاجم الفرنسية في ملحق لاروس الجديد المصور سنة 1906، وهي عبارة عن دراسة نقدية لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها بغية تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومداهم الموضوعي، تطرح فيها الفلسفة تساؤلات متعلقة بالمعرفة الإنسانية من حيث مصادرها، طبيعتها، حدودها، قيمتها، وسائلها. اشتق هذا المصطلح من الكلمة اليونانية "إبيستمي" Episteme التي تعني العلم

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

أو المعرفة العلمية، و "لوفوس" Logos التي تعني نظرية، وبالتالي فإن كلمة إبستمولوجيا تعني حرفيا نظرية العلم.

يقدم لالاند تعريفا للإبستمولوجيا يرى فيه أن هذه الكلمة تعني فلسفة العلوم، وهي عبارة عن دراسة نقدية لمبادئ العلوم ونتائجها وفرضياتها لغرض تحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها وبعدها الموضوعي، تختلف عن علم مناهج العلوم أو الميتودولوجيا (Lalande 1976 : 293).

ربط الباحث بلانشي Blanchet في كتابه عن الإبستمولوجيا استحداث المبحث الإبستمولوجي بصدور كتابين أساسيين، الأول ألفه بولزانو Bolzano سنة 1837 حيث اهتم أساسا بالعلوم الصورية وسماه "نظرية العلم"، أما الكتاب الثاني فألفه ويول Whewel سنة 1840 والذي يتضمن مشروعا إبستمولوجيا محددًا سنجدده فيما بعد عند كل من العالمين برانشيفيغ Brunshwicg و باشلار Bachelard. أراد ويول تجديد ما كتبه باكون (القرن 17 م.) بناء على الانجازات التي عرفها تاريخ العلم منذ عصر بيكون حتى القرن 19 م.، إذ حاول هذا الأخير أن يرسم الطريق التي ينبغي أن تسير عليها كل العلوم الاستقرائية. بعد مرور قرنين من الزمن، عرفت خلالها العلوم الفيزيائية وغيرها من العلوم تطور كبير، كان لا بد أن تدفع على إعادة النظر في مشروع باكون كله، لذا قرر ويول استبدال التصور القبلي للعلوم الاستقرائية بمناهج تقوم على تحليل الطرق والمناهج المستخدمة في علوم الطبيعة، تصور سيمكنه من تأسيس منهج تاريخي نقدي يساهم في تطوير البحث الإبستمولوجي بشكل عام (Blanchet 2000).

يؤكد سارتون Sarton الارتباط الموجود بين نشأة مبحث الإبستمولوجيا ومبحث تاريخ العلوم، بحيث يقول أنه لا يمكن تصور تاريخ حقيقي إلا في علاقته الصميمية

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

بالإبستمولوجيا، فتاريخ العلوم ليس فقط ذاكرة للعلم، بل هو مختبر للإبستمولوجيا  
(Russo 1983: 19).

في بداية القرن 20 م.، عندما بدأ التساؤل بجد عن بعض مبادئ ما سيدعى العلم المدرسي، نمت الحركة الكبيرة المسماة نقد العلوم، كالانتقاد الموجه ضد الوثوقية العلمية، حيث تناولت طبيعة القوانين ونظريات الفيزياء. لقد كانت أزمة الأسس التي انطلقت من متناقضات الفئات ترغم علماء الرياضيات في الوقت ذاته على التساؤل، هم أنفسهم، عن مبادئ علمهم. بوجود هذا الاتصال بين الكفاءة العلمية والتفكير الفلسفي على هذا النحو، جعله الاختصاص العلمي الجديد، فظهرت الإبستمولوجيا كاختصاص علمي جديد و مبحث أصيل، نظرا للوضع الراهن الذي جاءت فيه.

تحولت الإبستمولوجيا إلى مبحث من مباحث الفلسفة على مستوى الدراسات الأكاديمية في الإبستمولوجيا. فليس بين العلم والفلسفة في نظر ديكرت أي انقطاع، وإنما بينهما اتصال مستمر، بحيث يقول "إن هذه السلاسل الطويلة من الحجج البسيطة والسهلة التي تعود علماء الهندسة استعمالها للوصول إلى أصعب البراهين، وأن جميع الأشياء التي يمكن أن تقع في متناول المعرفة الإنسانية، تتعاقب على صورة واحدة"  
(Descartes 1987).

بالتالي لا تتميز الفلسفة بمضادة العلم بل بالاستمرار معه، تعيد إحدائه وتجعله يستمر. لقد صارت الفلسفة بوصفها معرفة أساسية، معرفة الأسس التي تمكن تصورها في منطلق النظام الذي تتكون منه، فيتضح إذن أن علاقة الفلسفة بالعلم علاقة هادفة على نحو تحققها في فلسفة العلوم.

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

يرى أغلب الباحثين اليوم أن للإبستمولوجيا وظيفة أدق وأكثر تحديداً، فهي مبحث نقدي، تدرس شروط إمكان إنتاج معارف علمية، وهي بذاتها دراسة وضعية ودراسة خاصة، تفترض توفر طرق وتقنيات محددة، كأنها جزء مقتطع من فلسفة العلوم، جزء يطرح أسئلة وضعية عن مسيرة المعرفة العلمية، ويتخذ ما يتوصل إليه من أجوبة منطلق حكم على طبيعة هذه المعرفة ووسائلها وغاياتها. فالإبستمولوجيا إذن تزود العلماء بالسلاح الذي يعينهم على شرح الحالات الحرجة، حيث يقول باشلار أن "العقل ينمو في جو الأزمة، وكل نضج فكري يشكل عائق في مسار المعرفة، هنا يأتي دور الفلسفة وبالتحديد الإبستمولوجيا، فهي جزء من فلسفة العلم، تشغل منطقة متوسطة بين العلم والفلسفة" (1971 Bachelard).

أما فيما يخص الإبستمولوجيا وعلاقتها بعلم المناهج (الميتودولوجيا)، فإن الأولى تتناول نقد مبادئ العلوم ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية، والثانية تقتصر في الغالب على دراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية، لبيان مراحل عملية الكشف العلمي وطبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر والواقع خلال هذه العملية. فهناك فرق بينهما في مستوى التحليل، حيث يقتصر مستوى التحليل في الميتودولوجيا غالباً على الدراسة الوصفية في حين أن الإبستمولوجيا، فضلاً عن طموحها إلى أن تكون نظرية عامة في العلوم، ترتفع إلى مستوى أعلى من التحليل وهو مستوى البحث النقدي الرامي إلى استخلاص الفلسفة التي ينطوي عليها التفكير العلمي، إذ يقول العالم بياجي Piaget "أن التفكير الإبستمولوجي يولد دائماً بسبب أزمت هذا العلم أو ذلك، أزمت تنشأ بسبب خطأ في المناهج السابقة وتعالج باكتشاف مناهج جديدة، بالتالي يمكن القول أن الإبستمولوجيا هي ميتودولوجيا من الدرجة الثانية" (1970 Piaget)، أو مثلما قيل أن المنهجية بدون إبستمولوجيا ما هي إلى حطام من تفكير (Avenier وآخرون 2011).

### 4.2. سوسيولوجية العلوم:

يعرف عالم الاجتماع غورفيتش Gurvitch علم اجتماع المعرفة بأنه دراسة الترابطات التي يمكن قيامها بين الأنواع المختلفة للمعرفة من جهة، والأطر الاجتماعية من جهة ثانية. يظهر من خلال هذا التعريف أن موضوع علم اجتماع المعرفة هو البحث في حقيقة المعرفة البشرية ومدى علاقتها بالبيئة الاجتماعية التي تظهر فيها، أو دراسة العلاقات القائمة بين العوامل الخارجية وأنماط الحياة الاجتماعية أو الثقافية (Gurvitch 1957).

يؤكد العالم بيرك Burke أن علم اجتماع المعرفة قد تطور انطلاقاً من مشاريع فكرية مهمة لعدد من كبار المفكرين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ساهمت كتابات العالمين كونت ودوركايم Durkheim و موس Mauss، في فرنسا، في نشوء علم اجتماع المعرفة وتطوره، حيث اهتموا بالبحث في التاريخ الاجتماعي للمعرفة والأصول الاجتماعية للمقولات الأولية، في مكان وزمان معين، إذ توصلت هذه الكتابات إلى اكتشاف نوع العلاقة بين هذه المقولات والاجتماع البشري لأنها موجهة إليه، ومن هنا قام تلامذة دوركايم بالبحث في العقلية الجمعية في الحضارات والعصور السابقة، مثل العصر الإغريقي والصيني. بعد ذلك تابع عدد من المفكرين مثل بلوش Bloch و فيفر Fevbre هذا التوجه (Burke 2013).

أما في ألمانيا، فقد كتب فيبر Weber سنة 1904 كتاباً عن الأخلاق البروتستانتية، كشف فيه عن نسق القيم الدينية في سياقها الاجتماعي وأثارها على المستوى الاقتصادي، وقد اعتبرت نظريته في البيروقراطية من أهم الإسهامات الكلاسيكية في سوسيولوجية المعرفة (Weber 1904).

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

أدى تطور البحوث والكتابات في هذا المجال على يد شيلر Sheler و مانهايم Mannheim إلى تأسيس فرع علم اجتماع المعرفة أواخر العشرينات من القرن 20 م.، وقد أكد هذان العالمان على التوجيه الاجتماعي للأفكار، حيث يولد الفرد فيجد نفسه محكوماً بظروف جاهزة وسابقة على وجوده، وبالتالي فهذه الظروف في سياقها الاجتماعي والتاريخي تحدد نمطية المعرفة لدى أفراد المجتمع، كما ركزا على دراسة العلاقة بين المجتمع والعلم.

قبل القرن 20 م.، أشار ماركس Marx بدوره أن المجتمع هو مصدر المعرفة أو أساس الفكر عندما تحدث عن وجود بنيتين، واحدة تحتية (مجتمع، وسائل الإنتاج وغيرهما) وبنية فوقية (إيديولوجيا وأفكار وقوانين)، مؤكداً أن الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد وعي الأفراد. تطرق عدد من الفلاسفة ومفكري القرن 17 م. كذلك في كتاباتهم إلى أفكار ونظريات مهدت فعلاً لظهور علم اجتماع المعرفة مثل العالم باكون الذي تحدث عن تأثير الذهن بالعوامل الطبيعية (Latour 1996).

بالرغم من اعتبار الباحث ميرتون Merton كأب لعلم اجتماع العلوم في الحاضر، خاصة عمله المقدم سنة 1973 والذي أنقص فيه من قيمة أعمال سابقه الأوروبين في هذا المجال، إلا أن القفزة الحقيقية لم تحدث إلا بفضل إسهامات الباحث Khun، حيث تعتبر كتاباته علامة فارقة في سوسيولوجية العلم، لأنه يمكن استخدام تفسيره للعلم كنموذج قياسي مباشر في هذا المجال دون حاجة لتحليله أو إعادة قراءته (Barnes 1996 وآخرون، 112-114).

أخيراً، يمكن تعريف سوسيولوجية العلم المعاصر، بأنه ذلك الفرع المعرفي الجديد في العلوم الاجتماعية الذي يهتم بدراسة العلم بوصفه ظاهرة اجتماعية في بنيته الداخلية وشروط تطوره الخارجية، حيث أصبح بالجماعة العلمية وأنماط العلاقات بين الفاعلين

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

العلميين وأدوارهم وقواعد عملهم وصراعاتهم وغاياتهم والعوامل المؤثرة على طبيعة نشاطاتهم وغيرها. يتمثل موضوع سوسيولوجية العلم هو وصف البحث العلمي كفعل يقوم به مجموعة من الباحثين كنشاط اجتماعي مرتبط بالأفعال والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والجماعات والتجمعات العلمية.

### 5.2. تاريخ العلوم:

يعد مفهوم تاريخ العلوم من المفاهيم الأكثر تداولاً في حقل الدراسات الإستمولوجية والأكثر إثارة للنقاش بين فلاسفة العلم والإستمولوجيين المهتمين بهذه الدراسة، ذلك منذ أن ظهر واضحاً أهمية العلم وآثاره العميقة على حياة البشر وتطورهم الحضاري بشكل عام.

يوحي مصطلح تاريخ العلوم بأن الموضوع الذي ينصب عليه هو العلم أو العلوم المختلفة كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا، لذا كان من الطبيعي أن يرتبط هذا المبحث بالمعاهد والكليات التي تدرس فيها العلوم المختلفة، لكن المفارقة أن هذا المبحث لا يهتم به إلا في معاهد الفلسفة والعلوم الإنسانية! من الضروري تفسير ذلك ومغزى اهتمام الفلاسفة بتاريخ العلوم (Canguilhem 1981).

يعتقد كثير من الباحثين أن اهتمام الفلاسفة بتاريخ العلوم يرجع إلى طبيعة العلاقة الوطيدة والمتداخلة بين الفلسفة والعلوم، إذ أنه من العسير فهم مختلف النظريات والمذاهب الفلسفية وإدراك دلالاتها لو اعتبرناها بمعزل عما يحيط بها من ممارسات معرفية أخرى، سواء كانت علوماً أو فنوناً أو غيرها، فالفلسفة كما يرى ذلك برانشويث وبياجي فإنها تبنى انطلاقاً من التأمل في علوم عصرها، وتأسس أية فلسفة يقتضي في أغلب الأحيان تهيئاً علمياً مسبقاً (Piaget 1970، Brunshwicg وآخرون 1972)، يقول بياجي

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

كذلك: "يظهر أنه مما لا جدال فيه أن أكبر المذاهب في تاريخ الفلسفة تتحدر من تأمل إما في الاكتشافات العلمية لأصحابها، أو في ثورة علمية خاصة حدثت في زمانهم أو قبله بقليل، هكذا كان الأمر فيما يتعلق بأفلاطون مع الرياضيات، وأرسطو مع المنطق والبيولوجيا، وديكارت مع الجبر والهندسة التحليلية، الأبحاث التجريبية للوك وهيوم وتمهيدهما لعلم النفس، وكذلك مع العلم النيوتوني، وهيغل والماركسية مع التاريخ وعلم الاجتماع (Piaget 1968 : 68).

تطلب الفلسفة في تاريخها دائما من علوم عصرها النموذج النظري الذي يؤسس قضاياها، من هنا يصبح تاريخ العلوم ضروريا كوسيلة من الوسائل التي تساعد على التفهم الجيد لتاريخ الفلسفة، حيث يقول العالم بريثي Bréhier: "لا يمكن فصل الفلسفة عن باقي الحياة الفكرية التي لا تزال تعبر عن ذاتها في العلوم والدين والفن والحياة الأخلاقية والإجتماعية. تهتم الفلسفة بكل القيم الفكرية لعصرها، إما بتزكيته أو نقدها أو تحويلها، حيث لا توجد إلا حيث يوجد مجهود يسعى إلى تنظيم القيم تنظيما تراتبيا (Bréhier 1968 : 10-11).

يرى بعض المؤرخين أن عبارة تاريخ العلوم لا ترمز في معناها الرائج إلا إلى تاريخ علوم الطبيعة ويضاف إليها تاريخ الرياضيات، بينما يرى آخرون مثل سارتون أن تاريخ العلوم لا يقتصر على دراسة الفيزياء والرياضيات، بل يشمل كذلك علوم الإنسان (Russo 1983 : 19).

بالرغم من التداخل والصعوبات في فهم موضوع تاريخ الأبحاث، يمكن القول أن موضوع تاريخ العلوم يتشكل من مجموعة من الخطابات أو الأقوال التي أصدرها باحثون حول موضوعات علمية محددة، فالباحثون والعلماء هم الذين يصوغون نتائج أبحاثهم على شكل قضايا مترابطة فيما بينها، ومحكومة بمنطق دقيق وصارم. يعتبر تاريخ العلوم

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

إن تجسيد نتائج متميزة أو حاسمة في حقل علمي ما، متبادلة التأثير والتأثر عبر التاريخ، بحيث يصبح لها معنى ودلالة تاريخيين بمقتضى هذا الارتباط ذاته (Canguilhem 1981).

قد يدفعنا صعوبة إعطاء تعريف أو تحديد دقيق لما نسميه تاريخ العلوم إلى تغيير المنظور الذي نحاول من خلاله الاقتراب من هذا المفهوم، فنطرح المسألة لا من منطلق تحديد الماهية والجوهر، بل من منطلق الأهمية التي يكتسبها هذا المبحث بالنسبة لمباحث أخرى تستغله لأغراضها في فترات تاريخية مختلفة.

ارتبط هذا المبحث، منذ نشأته إلى اليوم، بثلاثة أنواع من التوجيهات أو الخلفيات النظرية، أضفت عليه دلالات محددة. في البداية ارتبط مبحث تاريخ العلوم بخلفيات إيديولوجية برزت في إطار التحول الذي عرفه المجتمع الأوروبي ابتداء من القرن 17 م.، خصوصا الجانب المعرفي، حيث أدى ظهور العلم الحديث في تلك الفترة إلى تطور المجتمع الأوروبي. ثم ارتبط هذا المبحث في مرحلة ثانية بتوجهات فلسفية، خصوصا في القرن 19 م. وأوائل القرن 20 م.، مثل عند العالم برانشويث الذي يعتبر أن تاريخ العلوم لا يمكنه أن يكون وسيلة أو مجالا يظهر من خلاله نشاط الفكر، هذا النشاط الذي يعتبره موضوع الفلسفة الأساسي والحقيقي. وأخيرا، سيرتبط هذا المبحث بتوجيهات إبستمولوجية وبيداغوجية، انطلاقا من التصور الذي أعطاه العالم باشلار لمفهوم تاريخ العلوم باعتباره وسيلة أو أداة لإبراز القيم الإبستمولوجية للعلم الراهن (Gusdorf 1977: 48).

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

### 6.2. نشأة العلوم الإنسانية ومميزاتها:

بعد أن حققت العلوم الطبيعية والفيزيائية انتصارات في مجال الكشف عن القوانين المكونة للظاهرة الطبيعية، استلهم بعض الفلاسفة والباحثين وحاولوا التفكير في إمكانية قيام علوم تستطيع دراسة الإنسان عبر المناهج نفسها التي تدرسها العلوم الطبيعية.

تبلور هذا الاتجاه، في البداية، مع الفلسفة الوضعية كما مثلها روادها المؤسسون على غرار سبنسر Spencer وكونت ودوركايم، ممن دافعوا عن إمكانية قيام علوم إنسانية وضعية، تدرس المجتمع الإنساني وتفسره وتحلله تحليلاً وضعياً، بعيداً عن الذاتية واستناداً إلى خطوات منهجية، تقوم على الملاحظة الخالصة والتجريب الدقيق. لكن الإشكال المطروح يتمثل في مدى إمكانية عزل الظاهرة الإنسانية التي يتداخل فيها ما هو نفسي واجتماعي وثقافي، ودراستها دراسة موضوعية كما ندرس الموضوعات الطبيعية في العلوم التجريبية، وكذلك في مدى إمكانية جعل الإنسان وما صدر عنه من أفعال وسلوكيات وتصرفات موضوعاً لدراسة علمية، مع العلم أن منتج هذه الأفعال الذي هو الإنسان يكون دارساً وموضوعاً للدراسة (Angers 1996).

أما عن تاريخ العلوم الإنسانية في القرن 19 م.، فنشأت في خضم الثورة الفرنسية والاضطرابات الاجتماعية الأوروبية آنذاك، حيث بدأ التفكير في تأسيس علوم تهتم بدراسة الظاهرة الإنسانية بطريقة علمية قصد التنبؤ بها وتوجيهها والتحكم فيها. يقول كونت، المبلور للنظرية الوضعية: " دراسة الظواهر الإنسانية هي دراسة موضوعية ممكنة، شريطة أن يتحرر الباحث من كل التصورات اللاهوتية والميتافيزيقية، لأنها تنتمي إلى مرحلة لم تعمل إلا على عرقلة العلم، وبالتالي فالمرحلة الوضعية تمكن الباحث من خلال مناهجها وتقنياتها، من تفسير وتحليل الظواهر الإنسانية عموماً والاجتماعية خصوصاً" (Comte 1998).

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

إذا كان ظهور العلوم الإنسانية قد جعل النزعة الوضعية والاتجاهات الوظيفية تعتقد بإمكانية موضعة الظاهرة الإنسانية وفصلها ودراستها دراسة تجريبية وفق مناهج العلوم التجريبية، فإن قيام الإبستمولوجيا، باعتبارها الدراسة النقدية للمعارف العلمية وتوسيعها لمجالها، جعلها تهتم كذلك بالعلوم الإنسانية، دراسة وناقدة للمعارف التي تنتجها والمناهج التي توظفها في بناء معرفتها. أكد بياجى مثلا، الذي يمثل أحد رموز إبستمولوجية العلوم الإنسانية ورائد الإبستمولوجيا التكوينية، أن مشكلة العلوم الإنسانية هي الذاتية التي يصعب التخلص منها، لأن الذات العارفة (العالم في العلوم الإنسانية) هو نفسه موضوع المعرفة، كما أن الإيديولوجية لديها تأثيرها وحضورها.

يظل حضور الإيديولوجية غير طاعٍ في مجال الفيزياء أو الرياضيات مثلا، لأن العالم يتعامل مع ظواهر مستقلة ومعزولة، بينما يتعامل، في العلوم الإنسانية، مع مواضيع حية تنتمي إليه نفسيا أو إيديولوجيا أو عقائديا، لذلك تحضر الأحاسيس والانطباعات الشخصية والأحكام المسبقة لتوجه البحث وتؤثر فيه، ما يحول دون تحقيق الموضوعية. فحينما يكون موضوع البحث هو الدين أو السياسة أو الانتحار مثلا، فإن الباحث قد لا يستطيع الفصل بين أفكاره الخاصة عن الموضوع وخصائص الموضوع المدروس، كما هو في المجتمع (Piaget 1970).

عمل العالم غولدمان Goldman، وفق نفس التصور، في كتابه عن العلوم الإنسانية والفلسفة حيث وضح الاختلاف بين عمل علماء الفيزياء وعلم الاجتماع مثلا، من كونه ليس اختلافا في الدرجة بمعنى من هو الأكثر علمية من الآخر، بل هو اختلاف في الطبيعة، إذ أن طبيعة الميدان الذي يشتغل فيه الفيزيائي ليس هو الميدان الذي يشتغل فيه عالم الاجتماع، حيث أن الأول في اشتغاله يصطدم فقط بالموضوع المدروس، بينما يصطدم الآخر بأبعاد متعددة: إيديولوجية وسياسية وطبقية ومصالح، ما

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

يجعل العلوم الإنسانية حقلاً للصراع الإيديولوجي، ما يفرز تعدد المقولات والمفاهيم (1978 Goldman).

يكمن الاختلاف الثاني بين المجالين في كون العلوم الفيزيائية والتجريبية عموماً قادرة على أن تصوغ قوانينها الخاصة والتي تستطيع، من خلالها، تعميم تفسيرات يمكننا منها التنبؤ والتوقع متى تحدث الظاهرة، بينما يظل التنبؤ بالموضوع صعباً في العلوم الإنسانية، ما جعل العالم فوكو Foucault يقول، إن الأفعال الإنسانية مهما أنتجنا حولها من مقولات وتفسيرات تظل رهينة بزمن إنتاجها، لأن الإنسان كائن منتج ومتغير (1966 Foucault).

يجب التسليح بالحدس حتى تتمكن العلوم الإنسانية من ضبط الذاتية وتقديم تحليل ودراسة موضوعية، إذ قد تكون هذه الموضوعية مختلفة عن المعروفة في العلوم الفيزيائية، لكنها ستنتج تصوراً الخاص للموضوعية، الذي يتلاءم وطبيعة المواضيع التي تدرسها، رغم صعوبة دراسة والتحكم والتنبؤ بسلوك الإنسان عموماً.

### 7.2. تطور مناهج علم ما قبل التاريخ ضمن العلوم الإنسانية:

تضم العلوم الإنسانية كل العلوم التي تدرس الإنسان كالأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم الاقتصاد والجغرافيا وعلم اللسانيات والعلوم السياسية وعلم الآثار (Dortier 2009: 8). يمكن، من هذا المنطلق، وضع علم ما قبل التاريخ ضمن العلوم الإنسانية لأن اختصاصه يكمن في دراسة ماضي الإنسان وكل ما يتعلق به اعتماداً على شواهد المادية، مثله مثل علم الآثار. هذا هو الحال منذ نشأة هذا العلم منتصف القرن 19 م.

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

لكن ومنذ ستينيات القرن الماضي، أصبح الشك يراود منظري وعلماء ما قبل التاريخ عن انتماء هذا العلم إلى العلوم الإنسانية، بالنظر إلى ظهور مناهج جديدة متبعة سعياً لحل أدق للإشكاليات التي يطرحها، والمستمدة بشكل كبير من العلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة إذ أصبح الاستغناء عنها شبه مستحيل، عكس العلوم الإنسانية الأخرى التي مازالت تنتهج، وبصفة شبه مطلقة، وصف الظواهر ومقارنتها ببعضها، مع إمكانية استعانتها بالمصادر الكتابية مثل علم الاقتصاد أو علم التاريخ أو علم الآثار.

يعتبر دعاة "علم الآثار الحديث" **New Archaeology**، في أواخر الستينيات، من أهم الذين حاولوا إدراج هذا الاختصاص إلى مصاف العلوم ذات النتائج غير القابلة للجدل وإخراجه من العلوم الإنسانية، حيث سعوا، بالإضافة إلى وصف الماضي، إلى تفسير سيرورة تطور الحضارات وتغيرها، لكن اعتماداً على وضع فرضيات تبنى منها نماذج تفسيرية ذات طابع عام، حيث يمكن التحقق من صحتها وملاءمتها أو رفضها (**de Beaune 2007: 13**). يسمى منهج هذا التيار بالمنهج الإفتراضي الإستنتاجي (**Binford 1968، Clarke 1968 و1972**).

انتقد هذا التيار بشدة في الثمانينيات، من طرف بعض الباحثين مثل هودر **Hodder** و **Shanks** و تيلي **Tilley (1986 Hodder، Shanks وTilley 1987)**، حيث رفض هودر حتمية وجوب وضع افتراض مسبق في تحول المجتمعات البشرية كشرط إلزامي لوضع قوانين عامة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، كون الثقافة المادية لم تكن مجرد نتيجة للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية، إنما كانت تمتلك بعداً رمزياً وتأثر متبادل بين الإنسان وبقاياه المادية، فعمد هذا الباحث إلى إرجاع ثلاث مفاهيم رفضها التيار السابق: الفردية والثقافة والتاريخ. يرى هذا الباحث كذلك أن البقايا الأثرية تعكس حقيقة اجتماعية ذات معنى حسي، فقراءة الماضي حسبه هو بمثابة

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

نص حيث ينظر لهذه البقايا ككلمات لا يأخذ معناها إلا في هذا السياق (de Beaune 2007: 13). سمي هذا الاتجاه بعلم الآثار السياقي.

تجدر الإشارة كذلك إلى مقاربتين أخريتين في علم الآثار عموماً وعلم ما قبل التاريخ خصوصاً، حيث تزامن ظهورهما تقريباً مع ظهور علم الآثار الحديث، وهما علم الآثار التجريبي والإثنوأركيولوجيا، اللذان يعتمدان بشكل كبير على منهج الحدائثة Actualisme الذي بموجبه يمكن فهم وتفسير ظواهر ثقافية أثرية (ماضية) اعتماداً على فهم وتفسير الظواهر الثقافية للمجتمعات الإنسانية الحالية (Gohau 2003)، بالإضافة إلى مناهج كلاسيكية أخرى معتمدة في العلوم الإنسانية.

في بداية قرننا هذا، ورغم التقدم المعترف الذي وصلت إليه مناهج ونتائج البحث في علم ما قبل التاريخ، استخلصت الباحثة دوبيون de Beaune أن مازال هناك تردد بين نظامين معرفيين: تلك التي تميز العلوم الدقيقة أو الطبيعية من جهة، والتي تميز العلوم الإنسانية من جهة أخرى، حيث يجد الباحثون أنفسهم حائرين، عند معالجتهم قضايا ذات طبيعة رمزية أو فنية مثل الدفن أو المظاهر الفنية، بين الرغبة في العثور على تفسيرات "علمية" وإثبات أن ما قبل التاريخ هو من العلوم الدقيقة أو الطبيعية الأخرى، وبين اصطدامهم بحقيقة عدم إمكانية وضع حياة الإنسان وسلوكه، من خلال شواهد المادية، ضمن معادلات وقوانين غير قابلة للجدل. بطريقة أخرى، كلما كانت هذه الشواهد المادية "تقنية"، بدا وكأن الدراسات المتعلقة به متقدمة أكثر، ولكن بمجرد التطرق إلى البعد الاجتماعي أو الثقافي لهذه الشواهد التقنية، يعود الباحث إلى نفس التأويل الحذر والمشكوك بمصداقيته، الذي يميز دراسة الأحداث غير الملموسة.

ومنه، وبغض النظر عن مجالات علم ما قبل التاريخ التي تتحكم فيها التقنية الدقيقة مثل التصنيف والتراسيولوجيا، فإن هذا العلم يعمل في ظل النظام الإيبستمولوجي

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

الذي يميز العلوم الإنسانية الأخرى وبالتحديد العلوم التاريخية، وهذا ليس تقليلا من شأنه إذ يمكن السعي إلى الحد من الذاتية والإيديولوجية في الحجج والتكهنات، والتقرب إلى المعقول، رغم أنه من الأرجح أن لا يمكن أبدا تأكيد نتائج عالم ما قبل التاريخ ( de Beaune 2007 :20).

### 8.2. مكانة الفن الصخري في علم ما قبل التاريخ وتطور مناهج تفسيره:

تشتهر الجزائر بمواقعها الأثرية الكثيرة جدا في الفن الصخري، بنوعيه النقوش والرسومات، متمركزة خصوصا في الأطلس الصحراوي والآهقار والطاسيلي، رغم وجود مناطق أخرى لم تحظ بنفس الاهتمام كمنطقتي الساورة وتندوف.

يعرف الفن الصخري على أنه مجمل الأعمال الفنية بالمعنى الواسع، أي دون أي تقدير جمالي، التي قام بها الإنسان على واجهات الصخور، حيث عثر معظمها في الهواء الطلق. عزل الباحثون هذا الفن عن الفنون الأخرى التي اكتشفت خلال فترة ما قبل التاريخ، على غرار الفن الجداري الذي يخص الواجهات الداخلية للكهوف، والفن المنقول الذي يمكن تحريكه، إضافة إلى الفن الذي عثر على الكتل الصخرية (Otte 2009). يحتل هذا النوع من الفن جزءاً رئيسياً في فن ما قبل التاريخ، إذ يعتبر ظاهرة عالمية نسبياً ولا يخص منطقة أو ثقافة معينة، وشاهدا مهما جدا في محاولة فك إشكاليات ثقافة الإنسان خلال الفترة اللاحقة من عصور ما قبل التاريخ عموماً.

حاول بعض مهتمي الفن الصخري تفسير هذه الظاهرة الثقافية منذ منتصف القرن 19 م، حيث ارتبط لفترة طويلة بالطوطمية كأول تفسير، ثم جاء الباحث بروي Breuil مع بداية القرن 20 م. والذي وضع علاقة بين هذه النقوش والرسومات مع الطقوس

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

السحرية التي قد مارسها الإنسان القديم، حيث عمر هذا التيار التفسيري إلى غاية منتصف القرن (2007 de Beaune : 14).

أعطى الباحث رافايل Raphael مفهوما جديدا لمعاني الفن الصخري، قبيل منتصف القرن 20 م.، حيث اعتبر الواجهات المزخرفة كوحدة موحدة وتفسيرها لا يمكن أن يكون إلا كذلك (1945 Raphael). أثر هذا الاتجاه في أعمال بعض الباحثين، على غرار لامينغ-أومبيرار Laming-Emperaire (1962) و لوروا-فورهان Leroi-Gourhan (1964، 1965).

ساهم الباحث لوروا-فورهان كثيرا في محاولة فك رموز الفن الصخري، واعتبر قطبا من أقطاب المدرسة الفرنسية في علم ما قبل، حيث استمد منهجه من التيار البنيوي الذي قاده الباحث لوفيس-ستروس Levis-Strauss كمنهج من مناهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية خصوصا والعلوم الإنسانية عموما، إذ استنتج أن مواضيع الفن الصخري تخضع دائما لقواعد دقيقة، وأن التفسيرات ذات الطابع الطقوسي غالبا ما تكون ذاتية وبعيدة عن الموضوعية العلمية، فاهتم بسلوك الإنسان صانع هذا الفن وطريقة إنجازه لنقوشه ورسوماته على حساب التفسير الذي كان جوهر الدراسة من قبل، مثله مثل بعض الباحثين على غرار وايت White (2003) الذي اهتم بـ "كيف؟" على حساب "لماذا؟" (2007 de Beaune : 14-15).

عادت التفسيرات المتعلقة بالسحر والدين مع تطور المناهج الإثنوغرافية في علم الآثار من طرف بعض الباحثين مثل هاليفاكس Halifax (1982) و شليزيي Schlesier (1987) و ديكسون Dickson (1990)، إذ هناك من فسر الفن الصخري بطقوس سحرية من طرف رجال دين و رقاة (Lewis-Williams و Clottes) (1996)، وآخرين اعتبروا وجود دين موحد مشترك لجميع الناس آنذاك (Anati)

## الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

---

2003). يجتهد هؤلاء الباحثون، في الوقت الحالي، استدراك مشكل الذاتية لهذه التفسيرات بمحاولة ربط التمثيلات الفنية برؤى خاصة بظواهر عصبية (Helvenston و Bahn 2002). تبقى هذه المقاربة في مرحلة التجريب وغير محققة للإجماع ( de Beaune 2007 :16).

الفصل الثالث:

الجانب التحليلي.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

سنعتمد في هذه الدراسة التحليلية على مجموعة من الدراسات التي أنجزت في منطقة الأطلس الصحراوي، تحديدا في الجلفة، حول مختلف التمثيلات الفنية الصخرية، والتي سنحاول من خلالها دراسة تطور المناهج المعتمدة في البحث، مدى نجاعتها، مع تحديد المناهج التي تمكنت من البقاء والاستمرار والكشف عن المناهج التي اندثرت مع مرور الزمن.

### 1. محطتان جديدتان من الحجارة المكتوبة: Flamand، 1914:

جاءت دراسة الباحث في علم الجيولوجيا، Flamand تكلمة لاكتشاف القاضي Magny لمحطة زكار سنة 1907، حيث وعده بوصفها ودراسة التمثيلات التي تحملها، اتبع في بحثه على المناهج التالية:

**\*تحديد المواقع:** قام بتحديد مكان الموقعين، ثم تعيين تواجد النقوش من خلال الجداريات التي تضم التمثيلات الفنية كما تكلم عن المحيط الطبيعي الخارجي الذي يميز المنطقة.

**\*الإطار الجيومورفولوجي:** تكلم الباحث عن الترسبات الطبقيّة الرملية، المتمثلة في المراحل المناخية الرطبة المتناوبة التي عرفتها المنطقة، على غرار المراحل الجافة، التي لوحظت على الجداريات، والتي نسبها Flamand للبلايستوسان الحديث أو للنيوليتي القديم، وهي الفترة المناخية التي تتزامن مع انقراض الجاموس العتيق.

**\*الوصف:** ركز في دراسته على الوصف الدقيق والمفصل، حيث ذكر كل تمثيل على حدى وقام بوصفه من حيث الشكل و المضمون ووضع التمثيلات من خلال الجدارية وعلاقتها بالتمثيلات المجاورة لها.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\*الرسم: قام برفع معظم النقوش الحيوانية والبشرية المختلفة لإظهار تفاصيل الشكل وتقنية النقش.

\*التصنيف: قام بتقسيم النقوش إلى ثلاثة مجموعات: المجموعة الأولى تضم النقوش ذات التمثيلات الحيوانية الضخمة مثل الجاموس العتيق، تنتمي لفترة ما قبل التاريخ، الثانية هي النقوش ذات الأبعاد الصغيرة والأسلوب التخطيطي، مرفوقة بالرموز الليبية البربرية، تعود لفجر التاريخ، أما الثالثة فهي عبارة عن نقوش ورسومات ذات أشكال هندسية وكتابات جدارية عربية حديثة.

\*تقنية النقش: التقنية المستعملة في النقش هي تقنية الخط الموتد أو المنقط، عميق أو قليل العمق، مصقول أم لا.

\*الزنجرة: ركز على حالتها المتدهورة بفعل العوامل الطبيعية والترسبات الطبقيّة، لونها داكن في أغلب الأحيان.

\*المقاسات: قام بقياس طول وارتفاع التمثيلات الفنية مع دراسة مقاسات الرأس، البشرية والحيوانية.

تعتبر دراسة الباحث Flamand، في مطلع القرن العشرين، من بين الدراسات الأولى القديمة التي طرحت موضوع جديد، فقد اهتم بوصف تفاصيل نقوش الأطلس الصحراوي، بالتحديد محطات منطقة الجلفة، حيث اعتمد في بحثه على مناهج مهمة مثل الإطار الجيومورفولوجي وتقنية النقش، كما تمكن من وصف التمثيلات وصفا دقيقا مفصلا. فهو الذي فتح الباب لمعظم الأبحاث التي تلت هذا العمل والتي اعتمدت أساسا على منهج دراسة Flamand، مثل أبحاث Hachid، Aumassip، Bellin، Lhote التي سنحللها لاحقا.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

بالتالي يمكن القول، أن هذه الدراسة مهمة جدا في تاريخ أبحاث الفن الصخري بالأطلس الصحراوي، حيث تعتبر كمرجع من المراجع الأساسية لدراسة الفن الصخري في المنطقة، لكنها تبقى محدودة جدا لأن تصنيفه جد عام وسطحي، لا يمكن أن يعتبر مقياس لوضع كرونولوجية صحيحة.

### 2. خريطة للنقوش الصخرية والرسومات لشمال إفريقيا: Perret، 1937:

لقد توصل Perret إلى وضع خريطة للنقوش والرسومات الصخرية لشمال إفريقيا بطلب من مجموعة كبيرة من الباحثين في الجغرافيا وعلم ما قبل التاريخ، ساعدته في انجازها المصلحة الجغرافية للجيش الفرنسي. تم التعيين في هذه الخريطة، معظم المحطات المرسومة بالمغرة والمحطات المنقوشة، بأشكال حيوانية وبشرية وأخرى نقوش لرموز ليبية بربرية، لكنها غير كاملة لأن المحطات ذات الأسلوب الرديء لم تذكر، حسب Perret تجعل قراءة الخريطة صعبة (Perret، 1937: 107).

من خلال الخريطة، قسم الباحث النقوش إلى فوجين: فوج النقوش القديمة ذات التمثيلات الإنسانية والحيوانية وفوج النقوش الليبية البربرية، حيث صرح أنه سوف ينتقد لا محالة من هذا التقسيم لكنه كان عليه فعل ذلك من أجل إعطاء للخريطة قيمة علمية (Perret، 1937: 108). يتمثل المنهج المتبع في هذه الدراسة في:

\*رسم خريطة: أين عين فيها الباحث أهم الرسومات والنقوش لمنطقة الجلفة، من خلال تحديد وتوزيع مواقع محطات الفن الصخري.

نلاحظ أن الخريطة تحتوي على تسميات قديمة، ينقصها الكثير من المحطات مقارنة بالدراسات التابعة، على حد قول Perret، تعتبر دراسة مؤقتة غير كاملة وشاملة،

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

اعتمد على الدراسة الجغرافية التي قام بها الجيش الفرنسي، وبالتالي لا تعتبر دراسة علمية قائمة من طرف المختصين في علم ما قبل التاريخ.

صحيح أن الخريطة هي وسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها الباحثين لتحديد موقع الآثار وانتشارها عبر منطقة معينة، لكن في هذا المقال، مجال البحث ضيق جداً، لم يعتمد الباحث على الوصف ولا يوجد تدقيق في السرد، تسمية محطات النقوش والرسوم، فالدراسة هنا جد محدودة ومقتصرة على رسم خريطة وتعيين المواقع فيها، هذه الوسيلة اليوم تعتبر بدائية، استبدلت اليوم بوسائل أخرى حديثة.

تجدد بنا الإشارة أننا نتكلم عن فترة الثلاثينات، لم تتطور فيها وسائل الأبحاث في مجال الفن الصخري، لكن رغم ذلك، هذه الخريطة اعتمد عليها الكثير من الباحثين، فيما بعد، من أجل تحديد مواقع محطات الفن الصخري والتمكن من الوصول إليها لغرض إجراء بحوثهم. فالخريطة إذن وسيلة من الوسائل المنهجية القديمة لدراسة الفن الصخري، لكن الباحث اليوم يحتاج إلى مناهج علمية أخرى حديثة للتوصل إلى نتائج أحسن وأدق في مجال تحديد المواقع مثل الخريطة الطبوغرافية، نظام المعلومات الجغرافية و التموقع الفضائي الجغرافي.

### 3. الفن الصخري بمنطقة أولاد نايل: Bellin، 1957:

اهتم Bellin بدراسة ثلاث مواقع لمنطقة أولاد نايل والمتمثلة في نقش للجاموس العتيق المتواجد بمسار شارف بمنطقة زينة، محطة صافية بورنان ومحطة ضاية الستل، حيث قال أنه حاول توسيع ما قدمه الباحثين من قبل أمثال Perret، Vaufrey و Flamand (Bellin، 1957: 299). اعتمد الباحث في دراسته على المناهج التالية:

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\***تحديد المواقع:** عرف بالمواقع من حيث معنى التسمية، ثم قام بتحديد مكان تواجد النقوش من خلال وصف شكل تضاريس المكان ونوع الصخور الجدارية التي تضم التمثيلات الفنية.

\***الوصف:** ركز في دراسته على وصف التمثيلات الحيوانية، حيث ذكر تفاصيل الشكل و المنظور.

\***الرسم والتقاط الصور:** التقط بعض الصور لنقوش المحطتين ، كما قامت برفع رسومات من أجل توضيح تفاصيل الشكل وتقنية النقش.

\***التصنيف:** قام بتصنيف هذه النقوش إلى ثلاثة مجموعات: الأولى تضم الجاموس العتيق، المجموعة الثانية تشمل الحيوانات المفترسة مثل طيور النعام، الفيلة والظباء، والحيوانات المستأنسة مثل البقر والغنم، أما المجموعة الثالثة تتمثل في الخيول والنقوش الليبية البربرية. ضمن هذه المجموعات الثلاث، يقول الباحث أن هناك تمثيلات مركبة، وهي قليلة، مقارنة بالتمثيلات المنعزلة أو المستقلة التي وجدها بكثرة في المحطتين.

\***تقنية النقش:** هناك نقش واحد على سطح مصقول، نقوش ذو خط مستمر عميق، أخرى قليلة العمق، نقوش ذو خط نصف مستمر - نصف منقط، نقوش منقطة ونقوش موتدة.

قام Bellin بالتنقيب بالقرب من هذه المواقع، فوجد هناك بقايا حجرية من الصوان، كما سجل العشرات من حبيبات قشور بيض النعام التي كان يستعملها الإنسان القديم لصناعة الفلاذ، ربما تنتمي للفترة النيوليتية ذو التقليد القفصي (Bellin، 1957):  
(302).

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

نلاحظ من خلال هذه الدراسة، أن الباحث ركز في بحثه على التعريف بمحطتين فقط: محطة صافية بورنان وضاية الستل. اعتمد على منهج الوصف والسرد دون التطرق لموضوع النقش، اهتم أساسا بالتمثيلات الحيوانية وأهمل التمثيلات البشرية، لا يوجد منهج المقارنة مع دراسات لمحطات أخرى ولا محاولة لوضع كرونولوجية نسبية لهذه النقوش.

يمكن القول أن هذه الدراسة سطحية ومحدودة جدا، لم يتعمق فيها الباحث من أجل التوصل إلى نتائج معينة، أظن أنه لم تكن أصلا له النية في ذلك، بكل بساطة لأن في هذه الفترة، أي فترة الخمسينات، كان اهتمام الباحثين منصب أساسا حول محاولة اكتشاف أكبر قدر ممكن من المواقع والمحطات الفنية، لغرض وضع جرد عام للأطلس الصحراوي.

بالتالي تميزت الدراسات في تلك الفترة بالاهتمام بالجانب الكمي أكثر من الجانب النوعي، وبما أن الجزائر كانت تحت وطأ الاستعمار الفرنسي، فإن أغلب الباحثين الفرنسيين حاولوا في تلك المرحلة اكتشاف أهم المواقع الأثرية لهذه الأرض الجديدة، من أجل استغلالها فيما بعد كمخبر علمي مكمل للأبحاث الفرنسية والأوربية.

### 4. التمثيلات الصخرية لمنطقة الجلفة، جنوب الجزائر : Huard et Allard، 1976:

لاحظ الباحثان Huard et Allard، تحديدا في هذه الفترة، أن معظم الدراسات حول الفن الصخري بالأطلس الصحراوي، قد أقيمت في منطقة الجنوب الوهراني، حيث جلبت نقوش هذه الأخيرة انتباه العديد من الباحثين، والدليل على هذا كثرة المنشورات والمقالات منذ 1849.

بالتالي قرر Huard et Allard دراسة منطقة الجلفة، التي تضم رسومات قيمة لفترة الرعاة التي يجب إعطائها حقهما للتمكن من مقارنتها مع نقوش الجنوب الوهراني

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

(Huard et Allard، 1976: 67). يمكن ترتيب المناهج المعتمدة في هذه الدراسة كالتالي:

\*رسم خريطة: حيث حددا فيها 43 موقعا لمحطات الفن الصخري بمنطقة الجلفة، مع ذكر التسمية المحلية لكل محطة.

\*تاريخ الأبحاث: لخصا أهم الأبحاث التي أنجزت من قبل في منطقة الجلفة ابتداء من سنة 1849 إلى غاية 1976.

\*الوصف: قاما بوصف التمثيلات وصفا دقيقا، حيث وصفا كل نوع من أنواع الحيوانات بطريقة مفصلة من حيث الأسلوب، الأبعاد، المنظور، تراكب التمثيلات فوق بعضها البعض، ثم وصفا التمثيلات الإنسانية، مع ذكر لأول مرة في تاريخ الأبحاث، السمات الثقافية للصيادين الممثلين في الفن الصخري، ثم الأسلحة وبعض الرموز.

\*الرسم والتقاط الصور: التقط بعض الصور للنقوش، كما قاما برفع رسومات لمعظم النقوش الحيوانية بأنواعها: الإنسانية، الأسلحة والرموز، من أجل توضيح تفاصيل الشكل وتقنية النقش.

\*تقنية النقش: تتمثل غالبا في تقنيتين: تقنية التوتيد وتقنية الشق.

\*الزنجرة: داكنة اللون في أغلب الأحيان.

\*المقاسات والعدد: ذكرا مقاسات طول التمثيلات كما حددا عددها حسب أنواعها.

\*الكرونولوجيا: ركزا في دراستهما على فترة الصيادين والرعاة، كما حاولا وضع

كرونولوجيا وهي كالتالي:

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

- فترة الجاموس وتتميز بتمثيلات ذات أبعاد كبيرة ثم تأتي التمثيلات ذات الأبعاد الصغيرة.

- فترة النقوش ذات الأسلوب الطبيعي التي تتميز بالأبعاد الصغيرة.

- فترة البقر والتي تعرف بفترة الرعاة، عمرت لفترة طويلة، تتميز بنقوش لاستئناس البقر والغنم.

هذا التصنيف المقترح لا يأخذ بعين الاعتبار السمات الثقافية لفترة الصيادين، الانتقال لفترة استئناس الحيوانات ثم فترة الرعاة (Huard et Allard، 1976: 71).

\*المقارنة: حاولا مقارنة نقوش منطقتي الجنوب الوهراني والجلفة مع ذكر أوجه الشبه والاختلاف بينهما.

نلاحظ أن هذه الدراسة مركزة أساسا على منهج الوصف بالتدقيق حيث حرصا الباحثان على ذكر تفاصيل التمثيلات من خلال النوع والصفة. فيما يخص الكرونولوجيا فهي غامضة وسطحية إلى حد ما، حيث ذكرا تلك المرحلة الطويلة المتمثلة في فترة الرعاة واستئناس الحيوانات، لكنهما لم يتعمقا في دراسة هذه الفترة ولم يعطياها حقا، بل ركزا فقط على سرد التمثيلات ووصفها. بالتالي لا يمكن وضع كرونولوجيا منطقية لهذه النقوش.

تعتبر هذه الدراسة من بين الدراسات الأولى، لسنوات السبعينات، التي اهتمت بنقوش منطقة الجلفة والتي ألفت بمعظم محطات الفن الصخري بالمنطقة وأعطتها حقا من باب السرد والوصف، حيث تعتبر من بين الدراسات التي يعتمد عليها كمرجع لدراسة الفن الصخري بالجلفة، لكنها تبقى اليوم محدودة وغير موضوعية من حيث عدم الاهتمام

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

بالجانب الثقافي لهذه النقوش، ولا يمكنها التعرف على الخصوصيات السوسولوجية والثقافية للإنسان الذي أنجز هذه التمثيلات.

5. رسومات الرماة الثلاثة الجديدة لموقع زكار، منطقة الجلفة: **Aumassip** وآخرون،  
:1977

سنة 1975، قامت **Aumassip** وآخرون باكتشاف ثلاثة رسومات لرماة و مجموعة من النقوش بموقع زكار، حيث قامت بوصف الرسوم في جزأين: مجموعة من الرماة والرامي المعزول. تتمثل المناهج المعمول بها في:

\***الموقع:** قامت الباحثة بتحديد موقع المحطة بالضبط في المنطقة، مع تعيين حدودها وما جاورها من نقوش صخرية.

\***الوصف:** وصفت الرسومات وصفا دقيقا من حيث توجه الشكل مع ذكر تفاصيل الجسم، وموضع الرسم من الصخرة.

\***الرسم والنقاط الصور:** التقطت بعض الصور للموقع وللرسومات، كما قامت برفع رسم لمجموعة الرماة من أجل توضيح التفاصيل.

\***البيئة:** ذكرت الباحثة أنواع المنحدرات الموجودة في الطريق المؤدي إلى الرسومات الجدارية.

\***الجدارية والزنجرة:** تكلمت عن نوع الصخرة، شكلها وحجمها، لون المغرة والبنية المستعملة في الرسم، حالة الرسم وتغير وجه الصخرة بفعل العوامل الطبيعية كالشمس والمطر التي أدت إلى تدهور شكل الرسوم والنقوش.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\*المقاسات: ركزت في دراستها على قياس طول وعرض الرسومات، كما حددت علوها بالنسبة لسطح الأرض (Aumassip، 1977: 151، 153).

\* الكرونولوجيا: تكلمت Aumassip عن كرونولوجية الرسومات، حيث تعتبر هذه المشاهد متزامنة مع بعضها، وأنجزت في نفس الفترة الزمنية، تحديدا في فترة النيوليتي، بما أن هناك انتشار واسع لصناعة حجرية نيوليتية موجودة على ضفاف الجدران الصخرية التي تحمل هذه الرسومات. هذه الرسومات تعبر حتما عن مشاهد للصيد، إذن الباحثة تنسبها لفترة الرعاة (Aumassip، 1977: 153، 154).

لقد وصفت الباحثة هذه الرسومات بدقة وأعطتنا تفاصيل في الشكل والمقاس واللون وتفاصيل الجسم، وحددت الموقع جيدا، لكن الكرونولوجيا التي تحدثت عنها تبقى سطحية وغامضة، لأننا لا نعرف إلى أي سلالة ينتمي هذا الإنسان الممثل؟ لا توجد دراسة علمية للبقايا العظمية، والبقايا الحجرية الموجودة في الموقع لم تحظى بدراسة علمية جديدة.

اتسمت هذه الدراسة بالسرود والوصف فقط، وذكرت كل ما تراه من قريب أو من بعيد بالنسبة للمشاهد، لكنها لم تقارنها برسومات لمواقع أخرى ولم تهتم بالأسلوب المعتمد من طرف الفنان، ولم تتكلم أصلا عن هذا الإنسان الحامل للقوس. تبقى هذه الرسومات جد مميزة وفريدة من نوعها نظرا لندرة مثل هذه المشاهد في الفن الصخري للأطلس الصحراوي.

6. التسلسل الزمني النسبي للنقوش الصخرية للأطلس الصحراوي الجزائري، منطقة الجلفة: حاشيد: 1983.

تطرقت الباحثة حاشيد في هذا المقال إلى محاولة وضع تسلسل زمني - كرونولوجية- لنقوش الأطلس الصحراوي الجزائري عامة من بينها نقوش محطات منطقة

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

الجلفة، حيث اعتمدت على منهج تنظيم المراحل المتتالية التي عرفت بها هذه النقوش من الأقدم إلى الأحدث (حاشيد، 1983: 143).

جاءت هذه الدراسة تكملة لمحاولات Huard و Flamand ،Lhote ،Monod et Allard في وصف وترتيب هذه النقوش ودراستها من حيث الشكل والموضوع، حيث اعتمدت على المناهج التالية:

\* **رسم خريطة:** حددت فيها التوزيع الجغرافي لمحطات الفن الصخري لمنطقة الجلفة.

\* **الوصف:** ركزت حاشيد على منهج وصف شكل وطبيعة النقش، أسلوب النقش، تقنية النقش، وضعية الحيوانات والأشخاص والعلاقة بينهما، ثم محاولة التعرف على موضوع النقوش وما تحملها من دلالات ومعاني.

\* **الرسم والنقاط الصور:** التقطت بعض الصور للنقوش، كما قامت برفع بعض الرسوم لشرح أسلوب خط النقش.

\* **الجدارية:** تكلمت عن نوع الصخرة وحجمها.

\* **تقنية النقش:** ذكرت مختلف تقنيات النقش دون ذكر التفاصيل.

\* **المقاسات:** قامت بقياس طول وعرض بعض النقوش المهمة.

\* **المقارنة:** قامت بمقارنة نقوش منطقة الجلفة والتي موجودة بالجنوب الوهراني، قسنطينة، الصحراء الوسطى و بنقوش المغرب.

\* **الكرونولوجيا:** استطاعت حاشيد وضع تسلسل زمني لهذه النقوش من خلال

تصنيفها لعدة فترات، معتمدة على دراسة الأسلوب المميز للنقش، وهي كالتالي:

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

- الفترة الطبيعية المعروفة بتنوع النقوش المختلفة المقاسات (الكبيرة جدا، المتوسطة والصغيرة) والتي تعايشت في نفس الوقت، وظهر أسلوب Tazina الذي اعتبره الباحثين مدرسة فنية نظرا للقيمة الجمالية والديناميكية التي تتصف بها، الروعة في الأداء مثل استطالة الأجسام، ترقيق الجوانب وذكر التفاصيل، وجود النمط الطبيعي الرمزي، نقوش جميلة رفيعة الجودة، لوحات فنية رائعة.
- الفترة الشبه طبيعية المتميزة بالرسومات البشرية المنفردة، نجد فيها أشخاص ذو رؤوس ثلاثية الفصوص و أجسام رباعية الشكل، أشخاص في وضعية جنسية ، أشخاص ذو منظور جانبي، أشخاص واقفون ذو منظور مواجه، أنثى واقفة ومواجهة، أشخاص أطرافها السفلية منفصلة أفقيا، ذكور أو إناث في وضعية متربعة، أشخاص خطية الشكل.
- تأتي فترة البقرات وهي المرحلة المعروفة باستثناس البقر أين نجد نقوش تمثل البقر والرعاة.
- مرحلة العربات التخطيطية والمتمثلة في نقوش ورسوم لعربات بأسلوب مخطط تجرها حيوانات.
- أخيرا المرحلة الليبية البربرية، المعروفة بنقوش تمثل الخيول بالأسلوب الطبيعي ثم تصبح بالأسلوب التخطيطي، كما نجد نقوش للجمال مع ظهور رموز ليبية بربرية ربما توهي إلى مرحلة ما قبل الكتابة (حاشيد، 1983: 145-162).

صحيح أن هذه الدراسة كانت تحليلية ومهمة في فهم نقوش الأطلس الصحراوي، حيث اعتمدت حاشيد على مناهج عديدة، ذكرناها سابقا، لكنها ركزت أساسا على

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

الأسلوب المعتمد في النقش وهو الذي ساعدها في التوصل إلى تسلسل زمني، مهم لتطور مناهج دراسة الفن الصخري مستقبلا، لكنه يبقى نسبي للغاية، لا يمكن الاعتماد عليه للتوصل إلى تأريخ مطلق، حيث يجب مرافقة مثل هذه الدراسات علوم ومناهج أخرى مساعدة، مثل دراسة البقايا العظمية الحيوانية والإنسانية، التنقيب، المسح الفضائي والجغرافي والبيئي للمحطات مع محاولة إدخال فلسفة وسوسيولوجية العلوم الإنسانية التي تفسر الجانب الاجتماعي والنفسي والسلوكي للإنسان القديم.

### 7. بعض التأملات لتمثيل الخيول في الفن الصخري لشمال إفريقيا والصحراء: Camps، 1984:

في هذا المقال يتحدث Camps عن إشكالية تصنيف الخيول من خلال الفن الصخري الذي اختلف فيه العديد من الباحثين أمثال Bourdelle الذي وجد أن هناك خمسة أنواع من الخيول، ثلاثة منهم ذوي الزبي الموحد واثنين ذوي الزبي المخطط، ثم اقترح في دراسة حديثة تقسيم الخيول إلى ثلاثة عائلات فرعية.

في سنة 1949، اعتمد Gronova على تنظيم بسيط للخيول، بثلاثة أنواع:  
Asinus، Hippotigris، Equus.

في 1955، Quinn احتسب أربعة أنواع: Onager، Hippotigris، Equus، Asinus. حاولت Eisenmann إنشاء نظام أقل بديهية عن طريق تنميط مبني على دراسة عظمية للججمة والأسنان (Camps، 1984:371). تمثل المنهج المتبع في هذه الدراسة في:

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\***الوصف:** قام بوصف أشكال الخيول من خلال نقوش الفن الصخري بمنطقة إفريقيا والصحراء، مركزا على شكل الرأس، طول الأذنين، حجم الخياشيم والشفة العلوية، خط الظهر.

\***الرسم:** رفع عدة رسومات لنقوش منطقة الجلفة و الجنوب الوهراني، من أجل دراسة تفاصيل الشكل.

\***التمييط:** حاول تمييط الخيول من خلال النقوش إلى ثلاثة أنواع: الخيول الوحشية، الحمار الإفريقي والخيول الموريطاني.

\***المقارنة:** قام بمقارنتها مع خيول الفن الصخري التي وجدت بفرنسا، بلدان البحر الأبيض المتوسط والبلدان الإفريقية مثل المغرب، تونس وليبيا.

\***التأريخ:** حاول تأريخها تأريخا مطلقا من خلال انتسابها للفترة الققصية أو النيوليتية ومقارنتها مع التي أرخت بالصحراء الغربية، المغرب، تونس وليبيا.

\***المقاسات:** ركز على قياس طول الرأس وطول الأذن ثم مقارنة النتائج مع مقاسات خيول البلدان المجاورة.

زيادة على الترددات في تمييط الخيول، هناك صعوبات يواجهها باحثين ما قبل التاريخ عندما يحاولون التعرف على الخيول الممثلة في الفن الصخري لمنطقة الجلفة، فإن أغلب أنواع الخيول التي ذكرناها سابقا لا نجدها ممثلة في الأطلس الصحراوي.

نأخذ على سبيل المثال الخيل المعروف والواسع الانتشار بالمغرب، المسمى "الخيول الموريطاني" Equusmauritanicus، كيف نفسر غياب تمثيله في الفن الصخري؟ هل اختفى أم انقرض قبل تطور الفن الصخري؟ أم لم يكن محل اهتمام إنسان

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

ما قبل التاريخ؟ أم هو ممثل فعلا في الفن الصخري لكن الباحثين لم يستطيعوا التعرف عليه؟ (Camps, 1984:376).

هناك تفسير لكل ما سبق عن طريق الفرضية التي تقول أن هذا الفن ما هو إلا تعبير لمخيلة الإنسان أي عبارة عن حيوانات خيالية لا تمثل الحيوانات التي كانت سائدة فعلا على أرض الواقع، مثل في الفن الحجري الأوربي (Camps, 1984:377).

انتقد Camps الرسومات التي أنجزها Lhote، حيث وجدها غير واضحة ولا تعبر تعبيراً جيداً عن الخيول، حيث لا يمكنها تأكيد لا النوع ولا الصنف.

هناك أيضاً إشكالية الخلط بين هذه الأشكال: هل هي من فئة الخيول Equidés أو الحمير Asinus؟ فقد اعتمد الباحثين للتعرف عليهم من خلال طول الأذنين والرأس، فالخيل له أذن قصيرة أما الحمار فأذنه طويلة، لكنها لا تعتبر قاعدة عامة، حيث وجد أن هناك نوع من الحمير ضخمة البنية وله أذن قصيرة نوعاً ما، كان من قبل يعتبر من عائلة الخيول Equus mauritanicus لكنه في حقيقة الأمر اتضح أنه من عائلة الحمير والمسمى Equus Asinus africanus والذي وجدت بقاياها في طبقات الهولوسان (Camps, 1984:380).

من خلال كل ما ذكر، نجد أن Camps حاول الكشف عن المناهج التي اعتمد عليها الباحثين في دراساتهم والتي ذكرناها سابقاً، لكنها تبقى دراسة محدودة وغير شاملة لأنها لم تتوصل إلى نتائج موضوعية وربما السبب يكمن في عائق عدم وجود دراسة جديّة لبقايا العظام الحيوانية وهذا لندرته، فلا يمكن التوصل لمعرفة نوع الخيل الذي كان موجود في الفترة القفصية والنيوليتية دون دراسة علمية للبقايا العظمية الحيوانية للمنطقة.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

كما نلاحظ أيضا أن الباحثين في هذه الدراسة يعتمدون على منهج تطبيق ما تم دراسته في أوروبا أو غيرها على ما وجد في الجزائر، وهنا يكمن المشكل، حيث لا يمكننا التوصل إلى نتائج ناجحة وصحيحة ما دامت الدراسات المنجزة في الجزائر تعتمد أساسا على ما درس في فرنسا أو غيرها، بدلا من دراسة علمية محلية بحتة، فهي دراسة مبنية على فكر استعماري.

### 8. النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، جبال أولاد نايل ومنطقة الجلفة: Lhote، 1984:

إضافة للاكتشافات السابقة المذكورة في المقال، بإيجاز، رأى Lhote، سنة 1984، أنه من الضروري جرد جميع محطات النقوش الصخرية، لمنطقة الجلفة، قبل الخوض في دراستها بتمعن سنة 1989، المقال الذي سنحلله لاحقا. اعتمد الباحث في دراسته على المناهج التالية:

\*تاريخ اكتشاف المواقع: ذكر اسم المكتشف للمحطة وسنة الاكتشاف.

\*تحديد المواقع: قام بتحديد اسم المكان والموقع الجغرافي للمحطات الفنية، مع ذكر إحداثيات الموقع، ثم تعيين موضع النقوش من خلال الجداريات.

\*الجرد والوصف: ركز في دراسته على جرد ووصف تمثيلات كل محطة على حدة، حيث قام بوصف النقوش من حيث الحجم، الشكل و المضمون ووضع التمثيلات من خلال الجدارية.

\*الرسم: قام برفع النقوش الحيوانية والبشرية المختلفة لإظهار تفاصيل الشكل وتقنية النقش.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\*تقنية النقش: التقنية المستعملة في النقش هي تقنية التوتيد والشق.

\*المقاسات: قام بقياس طول التمثيلات وارتفاع النقوش من على سطح الأرض.

أراد الباحث Lhote جرد محطات الفن الصخري بمنطقة الجلفة، والتعرف على مختلف النقوش الصخرية التي تحتويها، بالتالي لم يهتم بدراستها من حيث المحتوى ولم يحاول وضع كرونولوجيا، إلى غاية سنة 1989.

نلاحظ أن هذا العمل يرتكز أساسا على جرد أهم محطات النقوش الصخرية التي تزخر بها منطقة الجلفة، محاولة من الباحث التعريف بالعدد الهائل لهذا الموروث الثقافي، مقارنة بمنطقتي الجنوب الوهراني والصحراء الوسطى، التي كانت محل اهتمام دراسات معظم الباحثين، حيث رأى Lhote، في تلك الفترة، أنه من الضروري إحصاء مختلف محطات النقوش الصخرية من أجل تسهيل المهمة للباحثين الذين يريدون دراسة هذه النقوش مستقبلا.

صحيح أن منهج الجرد مهم من أجل إحصاء عدد المحطات والتعرف عليها، لكنه يعتبر من بين المناهج القديمة التي لا يمكنها أن تعطينا دراسة علمية دقيقة، بل تبقى محدودة في إطار الاستكشاف والجرد الذي يغلب عليه أسلوب الكم على النوع.

### 9. الفن الصخري: Lhote وآخرون، 1989:

لقد رأينا سابقا أن حاشيد اعتمدت في تقسيماتها على أسلوب النقوش، أما Lhote فقد اعتمد في دراسته على المناهج التالية:

\*الوصف: وصف نقوش الأطلس الصحراوي والصحراء الوسطى وصفا مفصلا دقيقا من خلال دراسة شكلها وأبعادها: أبعاد كبيرة، متوسطة أو صغيرة.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\*الصور: التقط عدة صور للنقوش والرسومات.

\*الكرونولوجيا: توصل إلى إقامة تسلسل زمني عن طريق تصنيف النقوش إلى

فترات متباينة وهي كالتالي:

- فترة الجاموس العتيق: ينقسم إلى:

- طابق الأسلوب الطبيعي ذو الأبعاد الكبيرة أو طابق البقریات ذات الأبعاد الكبيرة.
- طابق أسلوب الحصبایة نسبة لنقوش محطة الحصبایة ذات الأبعاد المتوسطة.
- طابق أسلوب تازينة ذو الأبعاد الصغيرة أو طابق البقریات ذات الأبعاد الصغيرة.
- طابق الأشخاص برؤوس ثلاثية الفصوص.
- طابق المصلين في وضعية ثلاث أرباع.
- طابق المصلين في وضعية متربعة.

- فترة البقریات وهي فترة الرعاة، ثم فترة الخيلة، ثم فترة الجمال ( Lhote

، et al 1989 : 1-20).

\*المقارنة: اعتمد على أسلوب المقارنة بين دراسات: Flamand، Monod،

Mori، Muzzolini، التي وجد فيها الكثير من التشابه مع دراسته.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

لقد لاحظنا في هذا المقال، أن Lhote يتكلم عن أعماله وتقسيماته من خلال الأعمال الأخرى المدروسة في الأطلس الصحراوي أو غيرها ، لكنه لم يذكر دراسة حاشيد؟ كما أنه بقي متردد فيما يخص تزامن هذه النقوش فيما بينها. ركز الباحث على ذكر التسمية العلمية للحيوانات وأنواعها، مع محاولة التعرف على سلالة الإنسان (الزنجي أو الشبه الأوربي؟).

تبقى هذه الدراسة محدودة وغير ملمة، تشبه التي قامت بها حاشيد، حيث Lhote اعتمد على منهج الأبعاد في النقش، أما حاشيد اعتمدت على منهج أسلوب النقش، أعطتنا تسلسل زمني نسبي لا يمكن الاعتماد عليه للحصول على تأريخ صحيح لفهم معنى هذا الفن والفنان الذي أنجزه .لا يمكننا فهم اليوم، لماذا نجد نقوش ذات أبعاد كبيرة، متوسطة وصغيرة في نفس المشهد، متراكبة فوق بعضها البعض، هل هي متزامنة أم لا؟ من الضروري اليوم إدخال المناهج العلمية النظرية الجديدة مثل سوسولوجية العلوم وفلسفتها من أجل فهم الثقافة المادية والمعنوية والفكرية لإنسان ما قبل التاريخ وقراءة هذه النقوش قراءة موضوعية.

### 10. الكبش ذو القرص المستدير: Camps، 1991:

من بين نقوش الأطلس الصحراوي هناك نقش جذب انتباه الكثير من الباحثين وهو الكبش ذو القرص المستدير مثل الذي وجد في ضاية الستل وعين الناقة بالجلفة.

الدراسات القديمة كانت قائمة على تشبيه هذه النقوش للإله المصري آمون رع فنسبها لآلهة افريقية من أصول مصرية، لكن هذا غير منطقي بما أن الكبش ذو القرص المستدير للأطلس الصحراوي ينتسب للفترة النيوليتية و الإله آمون جاء بعدها ب 2000 أو 3000 سنة .

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

أما Flamand فإنه ينسب هذا الكبش إلى تأثير ليبي لعبادة كبش مندرس. ثم عرض Joleau فرضية جديدة، أن هذا التمثيل للكبش ذو القرص المستدير في الفن الصخري هو عبارة عن تعبير لطقوس من أجل الحصول على المطر (Camps، 1991: 2-3). لقد اعتمد الباحث في دراسته على المناهج التالية:

\***الوصف:** نلاحظ من خلال هذا المقال أن Camps اعتمد أساسا على دراسة وصفية سردية، حيث وصف شكل الكبش ذو القرص المستدير ووضعيته بالنسبة للتمثيلات الإنسانية، ربما لفهم العلاقة بينهما في المشهد. كما عين تواجده في مختلف محطات الفن الصخري للأطلس الصحراوي من بينها البعض من محطات منطقة الجلفة.

\***الرسم والصور:** قام بأخذ عدة رسومات والبعض من الصور الفوتوغرافية من أجل اظهار تفاصيل شكل القرص.

\***المقارنة:** تكلم الباحث عن المقارنة المقترحة من طرف Gautier، وهي عرض أوجه الشبه بين كبش مناطق الأطلس الصحراوي الجزائري والإله المصري آمون.

حاول Camps المقارنة بين مختلف تمثيلات الكبش ذو القرص المستدير في الأطلس الصحراوي للتعرف على أوجه الشبه، والتعرف عليه من خلال الكبش الحالي.

\***الكرونولوجيا:** يقول الباحث أن هذه النقوش تنتسب للفترة النيوليتية، أين عرف الإنسان استئناس الحيوانات، الدليل على ذلك وجود التمثيل البشري في جميع النقوش التي تمثل هذا الكبش.

السؤال المطروح هو: هل هذا النوع من الخرفان هو حيوان مستأنس من طرف الإنسان أم لا؟ اتفق مجمل الباحثين أنها مستأنسة بما أنها تشبه تماما شكل الخروف المستأنس حاليا وأن الإنسان النيوليتي قام بتزيينها لتقديسها. بالنسبة لـ Lhote، هذه

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

التمثيلات للخرفان في جبال القصور، جبل عمور وجبال أولاد نايل التي تحمل على رأسها قرص أو قبة أو حلقة كروية الشكل والمزينة بقلادة وأكسوارات، لا يمكنها أن تكون حيوانات مستأنسة، لأن هذا القرص الموجود على الرأس نجده في بعض الأحيان ممثل على الحيوانات المفترسة (Camps, 1991: 4-5).

إن، هل هذه الخرفان مزينة لغرض التقديس أو التضحية من أجل الاحتفال بمناسبة معينة؟ أم بكل بساطة لغرض التزيين والتجميل فقط. إذا كان فعلا الإنسان النيوليتي يمارس طقوس عقائدية من خلال تقديس أو تضحية الكباش، إذن كانت هناك حتما آلهة يقدها الإنسان. هل من المعقول أن يكون الإنسان النيوليتي يمارس معتقداته الدينية في هذه الفترة مع بداية استئناسه للحيوانات وبداية فترة الرعاة؟ من هنا يمكننا نفي النظرية القائمة على مقارنة الإله آمون بمصر في فترة الفراعنة - العصر القديم - مع كبش الأطلس الصحراوي في فترة النيوليتي - عصر ما قبل التاريخ -.

الباحث يطارده عائق الإجابة عن الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة وهي: لماذا مثل الإنسان القديم هذا الكباش بالقرص المستدير على الرأس وزينه بهذه الصفة؟ رأينا سابقا أن الإجابات كانت غامضة وغير مبنية على أسس علمية لأننا لا يمكننا فهم هذه التمثيلات دون التطرق إلى سوسيولوجية إنسان ما قبل التاريخ، نفسيته وطريقة تفكيره..... لا يمكن فهم هذه التمثيلات دون اللجوء إلى دراسة الإنسان القديم من الناحية الاجتماعية والنفسية وتطور رؤيته الفكرية، هنا تكمن أهمية فلسفة العلوم الإنسانية التي يجب إعطائها حقه في الدراسة من أجل الوصول إلى نتائج صحيحة ومقنعة.

11. التسلسل الزمني للفن الصخري الصحراوي والشمال الإفريقي: Aumassip،  
1993:

قامت Aumassip في هذا المقال بجمع أهم الدراسات التي أنجزت عن الفن الصخري في الصحراء وشمال إفريقيا، وعرض تصنيف للتسلسل الزمني المطروح من طرف الباحثين: Flamand، Breuil، Monod، Huard et Allard، Lhote، Muzzolini، Hachid. بالتالي اعتمدت على منهج:

\*المقارنة: حاولت المقارنة بين دراسات الباحثين المذكورين سابقا، فوجدت أن هناك بعض الانسجام في معظم الدراسات والنتائج أمثال Flamand، Monod، Lhote و Hachid، لأنهم اعتمدوا تقريبا على نفس المناهج: وصف التمثيلات، تقنية وأسلوب النقوش والرسوم، موضوع المشهد، موقعها وتراكبها فوق بعضها البعض، أبعادها وحجمها، لون الزنجرة وتأثرها (رأينا سابقا تقسيمات Lhote و Hachid واقترحهم للتسلسل الزمني النسبي).

\*البيئة والتغير المناخي: مع Muzzolini يختلف الوضع، حيث يقترح تصنيف جديد مغاير وغير منسجم مع كل الأعمال التي سبقت، حيث اعتمد على منهج التغيرات المناخية التي عرفتتها منطقة الصحراء الوسطى في البلايستوسان والهولوسان، التي تناوبت فيها فترات جافة ورطبة. هل هذا التغير المناخي يلعب دور في وضع كرونولوجيا لكن هذا التصنيف ينطبق على الفن الصخري لمنطقة الطاسيلي، هل يمكن تطبيقه على الفن الصخري لمنطقة الجلفة؟ هل هذه التغيرات المناخية لمنطقة الطاسيلي هي نفسها بمنطقة الجلفة؟ هل ثقافة إنسان الصحراء الوسطى هي نفس ثقافة إنسان الأطلس الصحراوي؟

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

تقول Aumassip أنه من الصعب توحيد تصنيف الفن الصخري بالصحراء وشمال إفريقيا لأن الباحثون في الأطلس الصحراوي درسوا بالكثرة النقوش الصخرية نظرا لغناها وكثرتها، أما في الصحراء الوسطى فالفن الصخري غني بالرسوم. إذن ما مدى تزامن هذا الفن في المنطقتين إذا تكلمنا عن الجزائر، ثم في كامل شمال إفريقيا؟ وما مدى تزامن الرسوم والنقوش؟ (Aumassip، 1993: 25).

نلاحظ أن الباحثة في هذا المقال تطرح تساؤلات وتعرض إشكاليات أكثر مما تجيب عنها، كما أن الباحثين يقومون بانتقاد دراسات بعضهم البعض بدلا من إنشاء ربما دراسة تعم جميع هذه الأبحاث من أجل الحصول على نتائج مقنعة، وبالتالي يمكن القول أن هذه التصنيفات تبقى نسبية للغاية وتصلح في منطقة معينة أو في موقع معين، لا يمكن تعميمها من أجل توحيد النتائج والوصول إلى تاريخ صحيح وموضوعي.

كما تشير هنا الباحثة إلى ضرورة إنشاء أبحاث مستقبلية، تركز على منهجيات جديدة وتعتمد على الموضوعية المطلقة. يقول Lhote أن في مجال كهذا، طبيعة المواضيع غير مؤكدة، يجب علينا التقدم كالأعمى لكن بطريقة موضوعية صارمة.

مثال علم ما قبل التاريخ بأوروبا، يؤكد لنا أن رغم ظهور عدد هائل من الدراسات والنظريات العلمية في هذا المجال إلا أن النتائج تبقى غير مضبوطة، ويبقى التنافس يضرب باحث بآخر دون الوصول إلى النتائج المرجوة (Aumassip، 1993: 26).

بالتالي يمكن القول، أن مناهج ونظريات جديدة تفرض نفسها اليوم في دراسة الفن الصخري بالجزائر، حيث رأينا أن المناهج العلمية الدقيقة والتجريبية في مثل هذا المجال لا يمكنها الإلمام بالموضوع، حيث من الضروري إدخال العلوم الإنسانية والفلسفية لفهم هذا الفن وحل تعقيداته.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

12. مقارنة جديدة للفن الصخري في الأطلس الصحراوي: تمثيلات الفترة المتأخرة: عمارة، 2003:

لقد اهتم الباحث عمارة بتصنيف التمثيلات الحديثة ومحاولة وضع تسلسل زمني لهذه الفترة التي لم يعطيها الباحثين حقها سابقا، حيث يقول أن Lhote، Flamand، Hachid وغيرهم ركزوا على الفترة القديمة، واهتموا بتقسيماتها بالتفصيل، لكن الفترة الحديثة لم تحظى بذلك. تمثل المنهج المتبع في هذه الدراسة في:

\*التعريف بالإطار الجغرافي والجيولوجي للمنطقة، ثم ذكر أهم تاريخ الأبحاث التي درست تقسيمات الفن الصخري بالأطلس الصحراوي.

\*الوصف: نلاحظ أن هناك نقص في السرد والوصف الذي رأيناه في الدراسات السابقة، حيث لم يهتم بذكر تفاصيل التمثيلات الفنية، بل اعتمد على دراسة ظهور مؤشرات جديدة غيرت محتوى المواضيع في الفن الصخري.

\*الرسم والصور: قام برفع رسومات وأخذ بعض الصور لمواضيع جديدة مثل الرموز الليبية البربرية والأشكال التخطيطية التي تنتمي للفترة الحديثة.

\*التنميط: قام بدراسة تنميطية لتمثيلات الفترة الحديثة: الأشخاص، توزيع الأشخاص، الحيوانات، توزيع التمثيلات الحيوانية، الأسلحة وأنواعها، توزيع تمثيلات الأسلحة، العربات ثم الرموز الكتابية من خلال تفاصيل بعدها، شكلها، حجمها وخطها.

\*الكرونولوجيا: ركز كثيرا على هذا المنهج، حيث يقول عمارة أن هذه التمثيلات الفنية الحديثة ما هي إلا امتداد للتمثيلات القديمة، وهي تنتسب لفترة بداية ظهور تمثيلات للأسلحة المعدنية. يعتبر ظهور المعدن كمؤشر كرونولوجي لتصنيف هذه النقوش والرسوم ضمن الفترة الحديثة، حيث ظهرت مواضيع جديدة أحدثت تحولات كبيرة واضطرابات في

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

مؤشر تصنيف هذه الفترة للفن الصخري، تقل فيها التمثيلات الحيوانية، وتزداد التمثيلات البشرية والأسلحة، وتظهر تمثيلات للعربات والرموز الكتابية.

ينسب عمارة هذا التحول الكبير إلى ظهور فترة فجر التاريخ، قام بتصنيف النقوش والرسوم القديمة من الفترة القفصية إلى النيوليتية، أما الحديثة تمتد من عصر فجر التاريخ إلى الفترة التاريخية. النقوش القديمة كانت تأخذ مكان كبير في الجدار الصخري، أما الحديثة فهي تمثيلات ذات أبعاد مصغرة، تكثر فيها الأشكال التخطيطية والهندسية.

**\*الزنجرة:** زنجرة تمثيلات الفترة الحديثة أصبحت فاتحة اللون بعدما كانت داكنة اللون في الفترة القديمة.

**\*تقنية النقش:** ذكر ثلاث تقنيات بالترتيب حسب الأهمية: تقنية التوتيد، تقنية المطرقة ثم تقنية الشق.

**\*العدد والنسب المئوية:** من خلال دراسة توزيع التمثيلات المختلفة، قام بإحصاء العدد الإجمالي للتمثيلات في كامل الأطلس الصحراوي والعدد حسب كل منطقة (الجلفة، قسنطينة ووهران)، ثم حساب النسب المئوية لكل تمثيل (عمارة، 2003: 537-556).

نلاحظ فعلا أن عمارة جاء بمقاربة جديدة، وهي محاولة وضع تسلسل زمني قريب للمنطق، فمن الموضوعي أن نقول أن تطور الفكر البشري يؤدي حتما إلى تطور مواضيع وأساليب الفن الصخري. لقد قام عمارة بدراسة هذه الفترة المتأخرة في الفن الصخري اعتمادا على ظهور المؤشرات التالية: ظهور المعدن والرموز الكتابية، ظهور أسلوب التخطيط والأشكال الهندسية، قلة التمثيلات الحيوانية خاصة منها البقر والخروف مع استبدالها بالخيول ثم الجمال، تزايد في التمثيل البشري حيث تطور الإنسان وأصبح يعبر عن نفسه، ظهور العربة والأسلحة، غياب الأسلوب الطبيعي.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

حقيقة، هذا المقال جاء بالجديد من حيث معرفة تفاصيل الفترة الحديثة للفن الصخري بالأطلس الصحراوي دون المبالغة في الوصف، فهي تعتبر دراسة مكملية للأبحاث السابقة بما أن الباحث أدخل منهج إحصاء التمثيلات، ودراسة نظرية تغير المواضيع في الفن الذي يتماشى مع نظرية تطور الفكر الإنساني الذي يجب اليوم دراسته دراسة جدية مبنية على منهج إرفاق العلوم الإنسانية والفلسفية التي تدرس تفكير وسلوكيات الإنسان القديم. تبقى هذه الدراسة محدودة رغم جديدها لأنها غير مؤرخة تأريخاً مطلقاً وغاب فيها منهج المقارنة مع دراسات مماثلة أو متقاربة.

### 13. من الفن إلى المضمون: جذور الهولوسان من خلال بداية مرحلة الرعي النيوليتي في منطقة الأطلس، أولاد نايل، الجزائر: Roubet et Amara، 2015:

من خلال هذا المقال حاول الباحثان Amara et Roubet الربط بين الفن الصخري والإطار الذي يدور حوله، من أجل الإجابة على بعض الإشكاليات، حيث ظلت هذه المقاربة مثيرة للجدل بين مختلف الباحثين. تتمثل المناهج المعتمدة في هذه الدراسة في:

\***الربط بين الفن والإطار الجغرافي:** ذكرا الإطار الطبيعي والجغرافي الذي يسود من حول محطات منطقة أولاد نايل للتعرف على حدود المنطقة وموقعها من خلال المرتفعات، الأنهار والأحواض.

\***الربط بين الفن والإطار الثقافي:** حيث حاولا الربط بين مسكن إنسان ما قبل التاريخ والفن الصخري، فوجدا أن هناك علاقة أكيدة بينهما، حيث حسب تأريخ كربون 14 لبقايا موقد فإنه يتوافق مع عمر النقوش المتواجدة في الموقع، نسبها الباحثان لفترة ما قبل النيوليتي التي تنتمي حتما إما للفترة القفصية أو الإيبيرومغربية؟

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

\*الربط بين الفن واستثناس الحيوان: وهو منهج دراسة العلاقة بين الإنسان واستثناس الحيوان بما أن الفن الصخري يمثل الإنسان بجانب الحيوان وهي المرحلة المعروفة بفترة الرعاة.

\*دراسة التمثيلات الفنية وأسلوبها: يأتي في الأخير منهج دراسة الفن من حيث وصف الشكل والمضمون، أسلوب التمثيلات، .....

من خلال هذه الدراسة، نلاحظ أن الباحثان Amara et Roubet حاولا اللجوء إلى مقارنة جديدة وهي دراسة الفن الصخري من خلال الإطار الذي نشأ فيه، من أجل التوصل لنتائج منطقية وصحيحة. فلا يمكن دراسة هذا الفن دون اللجوء إلى دراسة شاملة للإطار العام الذي يسود حول التمثيلات الجدارية.

مختلف الدراسات التي اعتمدت على مناهج الوصف والأسلوب الفني فقط لم تأتي بنتائج ناجعة ولم تجب على الإشكاليات العالقة، بالتالي كان من الواجب إيجاد مناهج ومقاربات جديدة من أجل الخروج من منطق الدراسات القديمة المحدودة. بالتالي يرى الباحثان أن مستقبل دراسة هذا الفن يكمن في محاولة ربطه بالأطر والمقاربات الطبيعية والثقافية والإجتماعية التي تحوم من حوله، من أجل التوصل إلى استنتاجات موضوعية ومضبوطة.

**14. الفن الصخري لمنطقة الأطلس الصحراوي، محاولة للتحليل الفضائي: رابحي. وآخر، 2016:**

يقول الباحث رابحي، أن معظم الدراسات التي أقيمت من أجل دراسة الفن الصخري بالأطلس الصحراوي، تعتمد أساسا على اكتشاف محطات جديدة لإثراء خريطة توزيع مواقع الفن الصخري وتصنيف التمثيلات من خلال دراسة الأساليب والتقنيات

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

المختلفة التي أنجز بها الإنسان القديم فنه. بحيث قليلة جدا المقاربات التي أخذت بعين الاعتبار الإطار الجغرافي، الفضائي والبيئي للمواقع ذات الظواهر الفنية.

عدة مناهج علمية حديثة يجب اليوم استغلالها وتطبيقها من أجل تفسير هذه الظواهر الثقافية التي بقيت محل غموض كبير. التكنولوجيا الجديدة يمكنها حل الكثير من التساؤلات والإشكاليات العالقة (رابحي.م، 2016: 107). من بين هذه المناهج الحديثة التي ذكرها الباحث:

\***الإطار البيئي**: يتمثل في دراسة الإطار الطبيعي، الطبوغرافي، الجيومورفولوجي والجغرافي لمنطقة الدراسة، حتى يتسنى للباحث قياس مدى تأثير هذه الظواهر الخارجية على التعمير البشري القديم. كما يمكن تحديد ديناميكية المكان عبر الزمن وتفاعل الإنسان مع محيطه على مستوى الموقع والمنطقة.

\***نظام المعلومات الجغرافية**: هو نظام التحليل الفضائي للمنطقة، يعتمد على التنقيب الأثري من أجل جمع وتوظيف المعطيات الأثرية. فهو نظام يجمع المعلومات بطريقة سريعة وديناميكية ليجعلها واضحة، يسمح بتوظيفها لتفسير نماذج الفن الصخري النيوليتي لمنطقة الأطلس الصحراوي.

\***الخريطة الطبوغرافية**: وهو منهج يحتوي على معلومات مهمة، نستعملها لدعم الخريطة الموضوعاتية المنتجة.

\***التموقع الفضائي الجغرافي**: يعطينا معلومات دقيقة حول المواقع بالتدقيق، يمكن استعمالها لعرض بعض الظواهر الجغرافية.

\***خريطة ذات نموذج الارتفاع الرقمي**: وهي عبارة عن عرض بثلاثة أبعاد لتضاريس منطقة أرضية معينة، تعطينا قيمة ارتفاع الأرض. فهي تقدم لنا معلومات قيمة

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

حول فهم الإنسان ومدى تفاعله مع المحيط مثل: منحنيات مستوى الأرض، المنحدرات والشبكات المائية.

\*برامج خاصة لتسيير وتحليل المعطيات الفضائية: تتمثل في، ArcGis d'ESRI، Quantum GIS، Global Mapper (رابحي وآخر، 2016: 110-112).

\*إعادة رسم أو تشكيل المسار: وهو منهج إعادة تشكيل مسار الإنسان القديم بين مواقع المحطات الفنية، عن طريق تحليل l'analyse du faible coût بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول (رابحي وآخر، 2016: 119).

يقول الباحث أن هذه التقنيات الحديثة تعطينا معلومات قيمة عن الأرضية والموقع، كما تسمح بإعادة تشكيل منظر الخريطة من أجل اتضاح الرؤية وسهولة الوصول للموقع المدروس. بالتالي يمكن إشراك أو ربط هذه المقاربة الجديدة والمتمثلة في التحليل الفضائي والجغرافي عن طريق التقنيات الحديثة، مع المعطيات الأثرية للفن الصخري التي درسها الباحثين في السابق، والتي ذكرناها في الدراسات السابقة، الخاصة بعرض التسلسل الزمني للتمثيلات الفنية لمنطقة الجلفة، التي ستوصلنا إلى عدة تفسيرات محتملة وبالتالي ستعطينا حتما نتائج جديدة مقنعة.

نلاحظ من خلال ما سبق، أن رابحي فعلا جاء بمقاربة جديدة، تقترح عدة مناهج حديثة يجب توظيفها اليوم من أجل حل عدة إشكاليات في دراسة الفن الصخري، حيث ركز في بحثه على ضرورة الاهتمام بالإطار البيئي والجغرافي للمنطقة المدروسة وعلاقتها بسلوكيات الإنسان القديم، هذا الجانب من الدراسة الذي أهمله معظم الباحثين في الدراسات التي تطرقنا إليها سابقا.

## الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

---

يمكن القول، أن هذه المناهج ستلعب مستقبلاً، دوراً هاماً في حل الكثير من الإشكاليات التي تعرض إليها الباحثين سابقاً لكنها تبقى محدودة ومحصورة في الإطار البيئي والجغرافي وعلاقته بتنقلات الإنسان بين المواقع، حيث يبقى هناك غموض فيما يخص شرح مواضيع الفن الصخري، ما هو الدافع الذي أدى بالإنسان إلى هذا التعبير؟ ما المقصود منها؟ هل هو فن واقعي أم خيالي؟ أي أن هذه الدراسة لا يمكنها الإجابة عن الجانب الاجتماعي للإنسان، من الضرورة اليوم إدخال العلوم الإنسانية كمكمل للعلوم الأخرى، في دراسة هذا الموروث الثقافي، من أجل فهم سوسيولوجية الإنسان القديم، نفسيته وتفكيره آنذاك.

إستنتاج عام.

### استنتاج عام:

تمثلت هذه الدراسة في وضع حوصلة لمختلف المناهج التي طبقت في دراسة الفن الصخري بمنطقة الجلفة كنموذج، ومحاولة نقدها للعمل على تحسينها، كما اهتم البحث بإبراز طبيعة تطور هذه المناهج عبر الزمن من أجل الوقوف على التي استمرت وعلى التي توقفت واندثرت، وكذا على التي أتت بالجديد في دراسة وتفسير الفن الصخري.

تطرق هذا البحث إلى دراسة الإطار الطبيعي البيئي لمنطقة الجلفة، وتاريخ أهم الأبحاث الأثرية لفترة ما قبل التاريخ عموماً، لا سيما اكتشافات الفن الصخري بالمنطقة، كما عرف بمكانة دراسة الفن الصخري ضمن علم ما قبل التاريخ خصوصاً والعلوم الإنسانية والفلسفة عموماً، ثم تقديم المناهج النظرية النقدية من خلال سوسيولوجية العلوم والإبستمولوجيا التي قد تساهم في حل إشكاليات علم الآثار في الجزائر، يأتي بعد ذلك تحليل مضمون الأبحاث الأثرية عن الفن الصخري بمنطقة الجلفة عن طريق ذكر أهم المناهج التي اعتمد عليها الباحثين في التحليل ومدى تقدم الدراسات في هذا الموضوع مع إعطاء صبغة إبستمولوجية للعمل.

تتميز منطقة الجلفة الواقعة في سفح الأطلس الصحراوي، بخصائص جيومورفولوجية مميزة بطابعها التلي والسهبي في الشمال والصحراوي في الجنوب، تزخر بوفرة المياه الجوفية، بفضل الخزان الجوفي الطبيعي المكون من الحجر الرملي والرمل الراجعين إلى الفترة الألبية، وهي آخر فترة من العهد الطباشيري الأسفل، المنتمي إلى الزمن الجيولوجي الثاني.

وجدت أغلب المواقع لفترة ما قبل التاريخ بالقرب من الوديان أو الينابيع أو البحيرات، هذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين أماكن تعمير الإنسان القديم ومصادر المياه، ويجعل الاهتمام بالشبكة الهيدروغرافية أمر ضروري في استنتاج معلومات عن التعمير

البشري في منطقة ما. أما جيولوجية المنطقة فهي عبارة عن تكوينات للمرتفعات الشرقية لأولاد نايل، ممثلة في صخور كلسية وصخور الحجر الرملي، تعود في جزئها الأكبر إلى العصر الطباشيري.

معظم الأبحاث الأثرية التي أنجزت في منطقة الجلفة، والتي تبقى ضئيلة مقارنة بالمناطق الأخرى، مثل منطقة الجنوب الوهراني والصحراء الوسطى، توجهت أساسا صوب آثار العصر الحديث، والمتمثل في الفن الصخري خصوصا، لكنها اتصفت بنوع من السطحية والغموض، نظرا لاقتران الكثير منها بالإشارة إلى اكتشاف ووصف المواقع الأثرية فقط من غير دراسة معمقة.

لم يكن اهتمامنا في هذه المذكرة مقتصرًا بمنهجية البحث فقط، بل حاولنا قبل ذلك إبراز مكانة موضوع الفن الصخري ضمن اختصاصات وأقسام العلوم من أجل فهم أحسن لأسباب اختيار مناهج البحث فيه والمقاربات والتفسيرات التي تضمنتها، حيث عرفناه وأبرزنا مكانته ضمن علم ما قبل التاريخ كشاهدا مهما عن ثقافة الإنسان، كما ذكرنا مميزات العلوم الإنسانية بحكم أن علم ما قبل التاريخ عموما وموضوع الفن الصخري خصوصا يصنفان ضمن العلوم الإنسانية، مع التعرف على الفروق الموجودة بين هذه الأخيرة مع أنواع العلوم الدقيقة والطبيعية مثلا، كما تطرقنا إلى ما هية الفلسفة وتفسير فلسفة العلوم، التي تشتهر بالبحث في طبيعة وصحة المقولات العلمية مما يجعلها فرعا وثيق الصلة بعلم الإبستمولوجيا، بهدف إدراج موضوع الفن الصخري ضمن الإشكاليات الفلسفية المتعلقة بفهم سلوك الإنسان ومدى تأثيره وتأقلمه بالمحيط الذي عاش فيه.

تقتبس المناهج النظرية التي يمكن أن تساهم في حل إشكاليات علم الآثار عموما، من تاريخ العلوم وسوسيولوجية العلوم والإبستمولوجيا، والتي حاولنا تطبيقها جزئيا لإنجاز هذه المذكرة. صحيح أنه لا يمكن الاستغناء على التكنولوجيات الحديثة والمناهج الميدانية

والتجريبية وعلم الآثار القياسي في تفسير حياة الإنسان القديم ومخلفاته، لكن من الضروري أيضا أن ترافق هذه المناهج التطبيقية والمخبرية بأخرى نظرية، لم تكن محل اهتمام الباحثين، لكنها تبقى ضرورية لطرح الإشكاليات الحقيقية وإنشاء أفضل النظم من أجل الحصول على نتائج منطقية، مثلما تلخصه المقولة التي ذكرت من طرف عدة باحثين: *Méthodologie sans épistémologie n'est que ruine de la réflexion*، بمعنى: منهجية من غير إبستمولوجيا ما هي إلا حطام تفكير.

إذا كانت النظرية هي المعرفة التي تبنى عليها مختلف الدراسات العلمية ذات الطابع التجريبي أو التطبيقي، فإن هذا البحث سيوجه ويؤطر من طرف النظرية، بالتالي البحث الذي يرتكز على أجدر وأحسن النظريات لا يقل أهمية من مختلف المراحل الأخرى للبحث العلمي، بما أن نجاح وصحة بحث ما مرتبط ارتباطا وثيقا بدرجة فعالية خلفيته واستغلال النظريات المنتهجة فيه. كما أنه لا يمكن تحديث وعصرنة علم الآثار في الجزائر دون إعادة النظر في تصنيف نتائج الأبحاث الأثرية القديمة، التي لا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق استعمال هذه المناهج الثلاثة.

علاوة عما سبق، هل يوجد أفضل من هذه المناهج النظرية للتحقق من أصل وأسس النظريات القديمة والاستنتاجات التي طغى فيها الطابع الإيديولوجي وعزلها عن البحث العلمي الحقيقي؟ مع العلم أن معظم المنظرين الأوائل في علم الآثار بالجزائر هم فرنسيون، كان هدفهم الأسمى استكشاف تراث هذه البلاد خدمة لمصالحهم الاستعمارية على حساب الأمانة العلمية التي يدعون باحترامها.

يمكن استخلاص المناهج المستعملة من طرف الباحثين، اعتمادا على تحليل المقالات والكتب التي عالجت موضوع الفن الصخري بمنطقة الجلفة، من خلال أربع مراحل زمنية هي:

1. تحديد المواقع على الخرائط، جرد المحطات الفنية، الرسم والتصوير، تحديد مقاسات التمثيلات، المقارنة بتمثيلات المناطق الأخرى.
2. تحديد الإطار الطبيعي والبيئي لمواقع المحطات الفنية، نوع الجدارية والزنجرة وحالة حفظها.
3. الاهتمام بتاريخ الأبحاث، تصنيف وتنميط الفن الصخري، دراسة الأسلوب والتقنية، وضع كرونولوجيا نسبية.
4. دراسة إحصائية للتمثيلات، استعمال النمذجة، المقاربات الفضائية في دراسة الأطر الطبيعية والجغرافية، الربط بين الفن والأطر الطبيعية والثقافية والاجتماعية.

من خلال دراسة المناهج الخاصة بالفن الصخري بمنطقة الجلفة، عبر الفترات الزمنية المتعاقبة، يمكن استنتاج ثلاث فترات لتطور هذه المناهج، حيث تتمثل الفترة الأولى في تأثر الباحثين بالتيار البنيوي الذي قاده لوروا غوروان في اكتشافاته، المتمثل في عملية الوصف والملاحظة والتحليل، الذي ظهر مع منتصف القرن الماضي. ثم تأتي مرحلة نهاية القرن العشرين، أين توصل الباحثين إلى تنميط ونمذجة النتائج التي سمحت بالتوصل إلى معلومات كثيرة ودقيقة ووضع كرونولوجيا نسبية، مستغلين التقدم الحاصل في ميدان الإعلام الآلي والرقمنة، لكنهم بقوا تحت تأثير إيديولوجية المدرسة الفرنسية. أما في بداية القرن الواحد والعشرين، فيتمثل في فترة الحد من الذاتية والإيديولوجية في دراسة الفن الصخري، حيث ظهر جيل جديد يريد دراسة هذا الموضوع بموضوعية وأمانة علمية أكثر من خلال الاهتمام بالتقنيات على حساب التفسير، والعمل على إدخال مناهج العلوم الطبيعية والدقيقة كاختصاصات مساهمة لحل إشكاليات الفن الصخري، مع إسهام علم النفس العيادي في تفسير التمثيلات الفنية والكيمياء في تأريخها، محاولين تجاوز مناهج العلوم الإنسانية التي قد لا تكفي لتفسير ثقافة الإنسان القديم ومخلفاته.

## إستنتاج عام.

---

لا يمثل مضمون هذه المذكرة سوى نقطة انطلاق عن معالجة الظواهر الثقافية للإنسان القديم علميا اعتمادا على المناهج النظرية كتاريخ العلوم وسوسولوجية العلوم والإبستمولوجيا، بهدف الإجابة على إشكاليات علم الآثار في بلادنا بنظرة مغايرة، حيث أن إرفاق مختلف المناهج الميدانية والمخبرية والتجريبية بالمناهج النظرية مهم جدا في حل الإشكاليات العالقة والحصول على نتائج صحيحة.

من الضروري اليوم إعادة النظر في تصنيف الأبحاث القديمة وتوضيح مضمونها ثم معالجتها بطريقة ممنهجة من أجل طرح الإشكاليات، في المستقبل، بموضوعية أكثر، وبناء فعال للبروتوكولات الخاصة التي يحتاجها الباحث في تفسير هذا الموضوع الذي بقي ليومنا هذا غامض ومحل جدل.

---

قائمة بعض المصطلحات المترجمة.

## قائمة بعض المصطلحات المترجمة.

### قائمة بعض المصطلحات المترجمة:

Argumentation .....	استدلال	Préjugé .....	حكم مسبق
Inductif .....	استقرائي	Narine .....	خيشم
Déduction .....	استنتاج	Filiforme .....	خيطي الشكل
Déductif .....	استنتاجي	Conglomérat .....	دملوك، تكتلات حجرية
Hypothétique .....	افتراضي	Ithyphallique .....	ذات قضيب منتصب
Structuralisme .....	بنوية	Subjectivité .....	ذاتية
Expérimentation .....	تجريب	Cognitif .....	ذهني
Schématisé .....	تخطيطي	Guérisseur .....	راقي
Superposition .....	تراكب	Patine .....	زنجرة
Classement .....	تصنيف	Comportement .....	سلوك
Génétique .....	تكويني	Contextuel .....	سياقي
Piquetage .....	توتيد	Lèvre .....	شفة
Concrétion .....	توضعات صلبة	Incision .....	شق
Trilobé .....	ثلاثي فصوص	Crétacé .....	طباشيري
Paroi .....	جدارية	Stratigraphie .....	طباقية
Esthétique .....	جمالي	Martelage .....	طرق
Phréatique .....	جوفي	Limon .....	طمي
Calcaire .....	حجر كلسي	Totémisme .....	طوطمية
Ere .....	حقبة	Sphéroïde .....	قرص مستدير

## قائمة بعض المصطلحات المترجمة.

---

Standard .....	قياسي	Ocre .....	مغرة
Théologique .....	لاهوتي	Approche .....	مقاربة
Métaphysique .....	ما وراء الطبيعة	Pointillé .....	منقط
Accroupi .....	مترتب	Uniforme .....	موحد
Rayé .....	مخطط	Objectivité .....	موضوعية
Poli .....	مصقول	Paroi .....	واجهه
Orant .....	مصلي، عابد	Ontologique .....	وجودي
Connaissance .....	معرفة	Positiviste .....	وضعية

## قائمة المراجع.

قائمة المراجع:

أبركان، ك. (2016). التعمير البشري خلال الهولوسان في الأطلس الصحراوي الشرقي. الإطار الطبيعي وتكنولوجية الصناعة الحجرية لموقع مغارة عمورة (الجلفة). أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ. معهد الآثار بجامعة الجزائر 2.

رابحي، م. (2012). التعمير البشري لفجر التاريخ بالأطلس الصحراوي، منطقة الإدريسية نموذجا، مقارنة أثرية جغرافية. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ. معهد الآثار بجامعة الجزائر 2.

**Amara, I. (2003).** Nouvelle approche de l'art rupestre de l'Atlas saharien : les figurations de la période tardive. *L'anthropologie* 107, 533–557.

**Aumassip, G. (1993).** *Chronologies de l'art rupestre saharien et nord-africain.* Calvisson: Gandini.

**Aumassip, G. (1997).** Considérations sur l'ancienneté de l'art rupestre gravé dans le Nord de l'Afrique. *L'Anthropologie* 101 (1), 197–219.

**Aumassip, G. Jacob, J.P. Outurquin, F. (1977).** Trois nouvelles peintures d'Archers à Zaccar, région de Djelfa – Algérie. *Libyca* 25, 151–155.

**Anati, E. (2003).** *Aux Origines de l'art. 50 000 ans d'art préhistorique et tribal.* Librairie Arthème Fayard, Paris.

**Angers, M. (1996).** *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines.* CEC.

**Avenier, M. J., Thomas, C. (2011).** Pourquoi jeter le bébé avec l'eau du bain? Méthodologie sans épistémologie n'est que ruine de la réflexion! *le Libellio d'AEGIS* 7 (1), 39–52.

**Bachelard, G. (1971).** *Epistémologie: textes choisis par Dominique Lecourt.* Presses universitaires de France.

**Badawi, A. (1968).** *La transmission de la philosophie grecque au monde arabe* (Vol. 56). Ed. Vrin.

**Barberousse, A., Kistler, M., Ludwig, P. (2000).** *La philosophie des sciences au XXe siècle.* Ed. Flammarion.

**Barnes, B., Bloor, D., Henry, J. (1996).** *Scientific knowledge: A sociological analysis.* University of Chicago Press.

**Beaune (de), S. (2007).** La préhistoire est-elle toujours une science humaine ?. *Jacques Evin. Un siècle de construction du discours scientifique en Préhistoire, vol. III. Mémoire de la SPF,* 13–21.

**Bellin, P. (1957).** L'art rupestre des ouled naïl. *B. S. P. F.* 54 (5–6), 299–306.

**Benazzouz, M.T. (2004).** Rapid environmental changes during upper holocene in the northern margins of the sahara desert. *Proceedings of the 1st meeting of IGCP 490 and ICSU Environmental catastrophes in mauritania, the desert and the coast.* January 4–18.

**Besnier, J. M. (1993).** *Histoire de la philosophie moderne et contemporaine: figures et œuvres.* Ed. Grasset, Paris.

**Binford, L. R. (1968).** *New perspectives in archaeology.* Aldine Pub. Co.

**Blanchet, P. (2000).** *La linguistique de terrain. Méthode et théorie. Une approche ethno-sociolinguistique.* Presses universitaires de Rennes.

**Bréhier, E. (1968).** *Histoire de la philosophie.* PUF, Paris.

**Brunschvicg, L., Desanti, J. T. (1972).** *Les étapes de la philosophie mathématique.* A. Blanchard.

**Burke, P. (2013).** *Social history of knowledge: From Gutenberg to Diderot.* John Wiley & Sons.

**Camps, G. (1984).** Quelques réflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien. *B.S.P.F* 31 (10-12), 371-381.

**Camps, G. (1991).** Béliet à sphéroïde (Gravure rupestre de l'Afrique du Nord). *Encyclopédie berbère* 9, 1417-1433.

**Canguilhem, G. (1981).** *Idéologie et rationalité dans l'histoire des sciences de la vie: nouvelles études d'histoire et de philosophie des sciences.* Ed. Vrin.

**Canguilhem, G. (1983).** *Études d'histoire et de philosophie des sciences.* Ed. Vrin.

- Clarke, D. L. (1968).** *Analytical archaeology*. Methuen, London.
- Clarke, D. L. (dir.) (1972).** *Models in archaeology*. Methuen, London.
- Clottes, J., Lewis-Williams, D. (1996).** *Les Chamanes de la Préhistoire. Transe et magie dans les grottes ornées*. Coll. Arts rupestres, Le Seuil, Paris.
- Comte, A. (1998).** *Cours de philosophie positive I, présentation et notes par Michel Serres, Alla Sinaceur et François Dagognet*. Ed. Hermann.
- Descartes, R., Gilson, E. (1987).** *Discours de la méthode*. Ed. Vrin.
- Dickson, D. B. (1990).** *The Dawn of Belief: Religion in the Upper Palaeolithic of Southwestern Europe*. University of Arizona, Tucson.
- Dortier, J.F. (2009).** *Les sciences humaines. Panorama des connaissances*. Ed : Sciences humaines.
- Flamand, G. B. M. (1914).** Deux stations nouvelles de pierres-écrites (gravures rupestres) découvertes dans le cercle de djelfa, sud-algérois. *L'anthropologie* **25**, 433-458.
- Foucault, M. (1966).** *Les mots et les choses: une archéologie des sciences humaines: une archéologie des sciences humaines*. Ed. Gallimard.

**Gohau, G. (2003).** Actualisme ou uniformitarisme. *D. Lecourt (dir.), Dictionnaire d'histoire et philosophie des sciences. PUF, Paris.*

**Gaucher, G. (1972).** Contribution de la géomorphologie à la prospection pédologique. *Annales de géographie* **81 (448)**, 697–710.

**Goldmann, L. (1978).** *Sciences humaines et philosophie: suivi de Structuralisme génétique et création littéraire* (Vol. 46). Ed. Gonthier.

**Gsell, S. (1911).** *Atlas archéologique d'algérie.* Ed. A. Jourdan, Paris.

**Gurvitch, G. (1957).** Réflexions sur les rapports entre philosophie et sociologie. *Cahiers internationaux de Sociologie* **22**, 3–14.

**Gusdorf, G. (1977).** *De l'histoire des sciences à l'histoire de la pensée.* Ed : Payot, Paris.

**Hachid, M. (1983).** La chronologie relative des gravures rupestres de l'Atlas saharien (Algérie) et la région de Djelfa. *Libyca* **30–31**, 143–164.

**Hachid, M. (2007).** Le contexte archéologique et historique de l'apparition de l'alphabet libyque: retour sur la date de l'inscription rupestre d'aazzib n'ikkis (haut atlas) et sa troublante convergence avec celles du sahara central. *Acte du colloque international "le*

*libyco-bèrbère ou le tfinagh: de l'authenticité à l'usage pratique*”, Ed. H.C.A., 11-17.

**Halifax, J. (1982).** *Shamanism: the Wounded Healer*. Crossroad. New York, Thames and Hudson, London.

**Helvenston, P. A., Bahn, P. G. (2002).** *Desperately seeking trance plants: testing the « three stages of trance » model*. RJ communications LLC, New York.

**Hodder, I. (1986).** *Reading the past. Current approaches to Interpretation in archaeology*. Cambridge university press, Cambridge.

**Huard, P., Allard, L. (1976).** Les figurations rupestres de la région de Djelfa. Sud-algérois. *Libyca* **24**, 67-125.

**Kadik, B. (1987).** *Contribution à l'étude du Pin d'Alep (Pinus halepensis Mill.) en Algérie: écologie, dendrométrie, morphologie*. O. P. U., Alger.

**Lalande, A. (1976).** *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*. PUF, Paris.

**Laming-Empeaire, A. (1962).** *La signification de l'art rupestre paléolithique*. Picard, Paris.

**Larnaude, M. (1949).** Eaux artésiennes et pluviosité dans le sahara algérien. *Annales de géographie* **58 (311)**, 282-283.

**Latour, B. (1996).** *Petites leçons de sociologie des sciences* (Vol. 114). Ed. Seuil.

**Lefebvre, G. (1967).** La station de gravures rupestres de Daïet es-Stel (Sud algérois). *Libyca* **15**, 207–214.

**Le Quellec, J.L. (1999).** Répartition de la grande faune sauvage dans le nord de l’afrique durant l’holocène. *L’anthropologie* **103** (1), 161–176.

**Leroi-Gourhan, A. (1964).** *Les Religions de la Préhistoire (Paléolithique)*. PUF, Paris.

**Leroi-Gourhan, A. (1965).** *Préhistoire de l’Art occidental*. Ed. Lucien Mazenod, Paris.

**Lethielleux, J. (1965).** Vestiges préhistoriques et protohistoriques de la région de djelfa. *Libyca* **13**, 249–268.

**Lhote, H. (1970).** *Les gravures rupestres du sud-oranais*. Arts et métiers graphiques, Paris.

**Lhote, H. (1984).** *Les gravures rupestres de l’Atlas saharien. Monts des Ouled Nail et région de Djelfa*. OPNT, Alger.

**Lhote, H., Camps, G., Souville, G. (1989).** Art rupestre. *Encyclopédie berbère* **6**, 918–939.

**Muzzolini, A. (1995).** *Les images rupestres du Sahara* (Vol. 1). A. Muzzolini, Toulouse.

- Otte, M. (2009).** *La préhistoire*. Ed. De Boeck Supérieur.
- Pelseneer, J. (1932).** Gilbert, Bacon, Galilée, Képler, Harvey et Descartes: Leurs relations. *Isis* **17 (1)**, 171–208.
- Perret, R. (1937).** Une carte des gravures rupestres et des peintures à l'ocre de l'Afrique du nord. *Journal de la société des africanistes* **7 (1)**, 107–123.
- Piaget, J. (1968).** *Sagesse et illusions de la philosophie*. PUF, Paris.
- Piaget, J. (1970).** *Epistémologie des sciences de l'homme*. Gallimard 'Idées' séries.
- Pouget, M. (1977).** *Notice explicative N° 67 : Cartographie des zones arides. Géomorphologie, pédologie, groupements végétaux, aptitudes du milieu à la mise en valeur. A 1/100 000. Région de messad-ain el ibel (Algérie)*. Office de la recherche scientifique et technique outre-mer, Paris.
- Rabhi, M., Bellahreche, H. (2017).** L'Art rupestre de l'Atlas saharien (Algérie) Essai d'analyse spatiale. *Journal of the General Union of Arab Archaeologists* **2 (2)**, 104–131.
- Rahmani, B. (2016).** *Approche hydrogéologique et hydrochimique des eaux souterraines dans une zone semi aride. Cas de la nappe moi-plio-quadernaire du synclinal de djelfa (Algérie orientale)*. Mémoire de magistère, Université de Tebessa.

**Raphael, M. (1945).** *Prehistoric Cave Paintings*. The Bollingen Series IV, Pantheon Books, New York.

**Roubet, C., Amara, I. (2016).** From art to context: Holocene roots of an Initial Neolithic Pastoralism (INP) in the Atlas Ouled Nail, Algeria. *Quaternary International* **410**, 103–122.

**Russo, F. (1983).** *Nature et méthode de l'histoire des sciences*. Librairie scientifique et technique A. Blanchard.

**Sauvanet, P. (1999).** *Le rythme grec: d'Héraclite à Aristote*. PUF, Paris.

**Schlesier, K. H. (1987).** *The Wolves of Heaven: Cheyenne Shamanism, Ceremonies and Prehistoric Origins*. University of Oklahoma Press, Oklahoma, Norman.

**Seltzer, P. (1948).** *Le climat de l'Algérie*. Travaux de l'Institut de météorologie et de physique du globe de l'Algérie. Université d'Alger.

**Shanks, M., Tilley, C. Y. (1987).** *Social theory and archaeology*. Cambridge: Polity press.

**Trayssac, J. (1983).** Migration de sables éoliens depuis l'holocène dans les monts des Ouled Nail (Algérie). *Actes du colloque international sur la paléoécologie des régions sahariennes, Beni-abbès*, 29–39.

**Vaufrey, R. (1939).** *L'art rupestre nord africain*. Ed. Masson, Paris.

**Villaret (de), F. (1995).** *Siècles de steppe, Jalons pour l'histoire de Djelfa*. Centre de Documentation Saharienne, Ghardaia.

**Voilquin, J. (1964).** *Les penseurs grecs avant Socrate: de Thalès de Milet à Prodicos* (Vol. 31). Ed. Flammarion.

**Weber, M. (2013).** *L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme*. Presses Électroniques de France.

**White, R. (2003).** *Prehistoric Art. The symbolic journey of human kind*. H.N. Abrams Inc., New York.

الفهارس.

فهرس الأشكال:

- شكل 1 - خريطة تبرز الموقع الجغرافي لمنطقة الجلفة وجانب من خصائصها  
الجيومورفولوجية (حسب Rahmani 2016) ..... 9
- شكل 2 - خريطة جيولوجية لمنطقة الدراسة (حسب Rahmani 2016) ..... 13
- شكل 3 - خريطة لأهم محطات النقوش الصخرية لمنطقة الجلفة (حسب Huard  
و Allard 1976) ..... 20

فهرس المحتويات:

إهداء.

تشكرات.

مقدمة.....4

الفصل الأول: الإطار العام وتاريخ الأبحاث.

تمهيد ..... 8

1.الإطار الطبيعي ..... 8

1.1.الإطار الجغرافي ..... 8

2.1.الإطار الجيومورفولوجي ..... 9

3.1.الشبكة الهيدروغرافية ..... 10

4.1.الإطار الجيولوجي ..... 11

5.1.المناخ القديم خلال الهلوسان ..... 14

6.1.المناخ الحالي في منطقة الدراسة ..... 15

1.6.1.تساقط الأمطار ..... 16

2.6.1.الحرارة والرطوبة ..... 16

3.6.1.الثلوج والصقيع ..... 16

16	..... 4.6.1. الرياح
17	..... 7.1. الغطاء النباتي
18	..... 2. تاريخ أبحاث الفن الصخري بمنطقة الجلفة

### الفصل الثاني: مفاهيم نظرية ومنهجية العمل.

22	..... تمهيد
22	..... 1. المنهجية
22	..... 2. من الفلسفة إلى الفن الصخري
23	..... 1.2. الفلسفة
25	..... 2.2. فلسفة العلوم
26	..... 3.2. الإبستمولوجيا
30	..... 4.2. سوسيولوجية العلوم
32	..... 5.2. تاريخ العلوم
35	..... 6.2. نشأة العلوم الإنسانية ومميزاتها
37	..... 7.2. تطور مناهج علم ما قبل التاريخ ضمن العلوم الإنسانية
40	..... 8.2. مكانة الفن الصخري في علم ما قبل التاريخ وتطور مناهج تفسيره

الفصل الثالث: الجانب التحليلي.

- 1.محطتان جديدتان من الحجارة المكتوبة:Flamand، 1914 ..... 44
- 2.خريطة للنقوش الصخرية والرسومات لشمال إفريقيا: Perret، 1937 ..... 46
- 3.الفن الصخري بمنطقة أولاد نايل: Bellin، 1957 ..... 47
- 4.التمثيلات الصخرية لمنطقة الجلفة، جنوب الجزائر: Huard et Allard، 1976 ..... 49
- 5.رسومات الرماة الثلاثة الجديدة لموقع زكار، منطقة الجلفة: Aumassip وآخرون، 1977 ..... 52
- 6.التسلسل الزمني النسبي للنقوش الصخرية للأطلس الصحراوي الجزائر، منطقة الجلفة: حاشيد: 1983 ..... 53
- 7.بعض التأمّلات لتمثيل الخيول في الفن الصخري لشمال إفريقيا والصحراء: Camps، 1984 ..... 56
- 8.النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، جبال أولاد نايل ومنطقة الجلفة: Lhote، 1984 ..... 59
- 9.الفن الصخري: Lhote وآخرون، 1989 ..... 60
- 10.الكبش ذو القرص المستدير: Camps، 1991 ..... 62
- 11.التسلسل الزمني للفن الصخري الصحراوي والشمال الإفريقي: Aumassip، 1993 ..... 65

12.مقاربة جديدة للفن الصخري في الأطلس الصحراوي: تمثيلات الفترة المتأخرة: عمارة،	
2003 .....	67
13.من الفن إلى المضمون: جذور الهولوسان من خلال بداية مرحلة الرعي النيوليتي في	
منطقة الأطلس، أولاد نايل، الجزائر: Roubet et Amara، 2015 .....	69
14.الفن الصخري لمنطقة الأطلس الصحراوي، محاولة للتحليل الفضائي: رابحي. وآخر،	
2016 .....	70
الخاتمة.....	75
قائمة بعض المصطلحات المترجمة.....	81
قائمة المراجع.....	84
فهرس الأشكال.....	95
فهرس المحتويات.....	96